المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences

Impact factor isi 1.651

العدد الثالث والعشرون / شباط 2024

الآثار الاجتماعية للفتوحات الإسلامية في العصر الأموي (العراق انموذجاً)

The social effects of the Islamic conquests in the Umayyad era (Iraq as an example).

طالب كردي أحمد

طالب ماجستير في قسم التاريخ الاسلامي
جامعة الجنان، طرابلس، لبنان

إشراف الاستاذ الدكتور حسن مبيض

قسم التاريخ الاسلامي
جامعة الجنان، طرابلس، لبنان

مستخلص البحث

تعد فترة تأسيس الدولة الأموية نقطة تحول كبيرة وخطيرة جدا في التاريخ الإسلامي، وذلك راجع للأحداث السياسية والعسكرية الخطيرة التي سبقتها، إلا أن كل المؤرخين يجمعون على أن فترة حكم الدولة الأموية أكثر أيام المسلمين امتداداً ونفوذا، ففي عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، كانت رقعة بلاد الإسلام تمتد على شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام والجزء الغربي من بلاد فارس والعراق، إلا أن دولة بني أمية لما استتب لها حكم الدولة الإسلامية، استأنفت على سنة الخلفاء الراشدين حركة الفتوحات، فامتدت الدولة الإسلامية على مجالٍ جغرافي واسع بلغ ثلاثة أضعاف مساحتها قبل الأمويين، فأصبحت تمتد من بلاد السند شرقاً إلى المغرب الأقصى والأندلس غربا، هذه الدولة التي لن تعمر طويلا، إلا أنها ستترك بصماتها على جدران التاريخ الإسلامي، وتمتد على ثلاث قارات(آسيا، إفريقيا، أوروبا).

حيث تربّعَ معاوية بن أبي سفيانَ على عرش حكم الدولة الإسلامية، وأرسى قواعد الدولة بدمشق التي كان واليا عليها واصبح يرسم معالم مستقبل دولة أراد أن يؤسسها، لكنه لم يستبق وقائع التاريخ وقوانينه، بل سار معها وأفاد منها، إلى أن تحقق له ما أراد، ليصبحَ معاوية بن أبي سفيان أول ملِكٍ في الإسلام، إذ بعد معركة صفين التي وقعت بينه وبين جيش علي رضي الله عنه عام 37 هـ، والتي انتهت نهاية غير حاسمة، استغل معاوية نتائجها سريعا، فضم مصر إلى ولاية الشام عام 38هـ، ثم سيطر على الحجاز سنة 40هـ، وهو العام الذي استشهد فيه علي بن أبي طالب غدراً، وبويع ابنه الحسن رضي الله عنهم

جميعا،استقرت الأوضاع السياسية الداخلية للدولة الإسلامية نسبيا، الشيء الذي استفاد منه معاوية بن أبي سفيان لتنفيذ مشروعه الكبير بمد نفوذ الدولة إلى أقصى مدى يمكن تحقيقه، لذا تابع العرب فتوحاتهم في المناطق الشرقية للدولة العربية الإسلامية، حيث شملت منطقتين هما بلاد ما وراء النهر (الدول المسلمة الواقعة جنوب روسيا حاليا، ويقصد بالنهر المذكور "نهر جيحون" الذي يسمى اليوم "نهر أمودار يا" في أوزبكستان)و بلاد السند (باكستان والهند): قاد الفتوحات في بلاد السند "محمد بن القاسم الثقفي" الذي تمكن من فتح مدينة "الديبل" (كراتشي حاليا)، وتابع زحفه شمال السند حتى وصل إلى كشمير على حدود الهند.واستغل الأمويون اضطراب الأوضاع الداخلية للإمبراطورية البيزنطية والصراعات السياسية على الحكم فيها، فحققت جيوشهم انتصارات مهمة استطاعوا من خلالها رد الأخطار البيزنطية واسترجاع العديد من الثغور الإسلامية على سواحل البحر الأبيض المتوسط، علاوة على سيطرتهم على أجزاء واسعة من "أرمينيا"، وبدأت فتوحات الدولة الاموية في اتجاه شمال إفريقيا، إذ لما استتب لبني أمية أمر الدولة الإسلامية، وهدأت الأوضاع نسبيا، استأنف المسلمون فتوحاتهم ليفتحوا شمال افريقيا ويعبروا البحر وصولا الى الاندلس.

الكلمات المفتاحية : الآثار الاجتماعية ، للفتوحات الإسلامية ، العصر الأموي (العراق انموذجاً).

Abstract.

The period of the establishment of the Umayyad state is considered a major and very dangerous turning point in Islamic history, due to the dangerous political and military events that preceded it. However, all historians agree that the period of rule of the Umayyad state was the most extended and influential of Muslims' days. During the era of the Rightly Guided Caliphs, may God be pleased with them, it was an area The lands of Islam extend over the Arabian Peninsula, the Levant, and the western part of Persia and Iraq. However, when the rule of the Islamic State was established, the Umayyad state resumed the movement of conquests under the Sunnah of the Rightly Guided Caliphs, so the Islamic State extended over a wide geographical area that reached three times

its area before the Umayyads. It now extends from the country of Sindh in the east to the Far Maghreb and Andalusia in the west. This country will not last long, but it will leave its mark on the world Islamic history, extending over three continents (Asia, Africa, Europe).

Where Muawiyah bin Abi Sufyan sat on the throne of rule of the Islamic State, and established the foundations of the state in Damascus, over which he was governor, and began to draw the features of the future of a state that he wanted to establish, but he did not anticipate the facts of history and its laws, but rather he walked with them and benefited from them, until he achieved what he wanted, to become Muawiyah bin Abi Sufyan was the first king in Islam. After the battle of Siffin that took place between him and the army of Ali, may God be pleased with him, in the year 37 AH, which ended inconclusively, Muawiyah quickly took advantage of its results, and annexed Egypt to the state of the Levant in the year 38 AH, then took control of the Hijaz in the year 38 AH. 40 AH This was the year in which Ali bin Abi Talib was treacherously martyred, and his son Al-Hassan, may God be pleased with them all, was pledged allegiance. The internal political situation of the Islamic State became relatively stable, something that Muawiyah bin Abi Sufyan took advantage of to implement his great project to extend the state's influence to the maximum extent possible, so the Arabs continued. They led Conquests in Sindh "Muhammad bin Al-Qasim Al-Thaqafi, who was able to conquer the city of Al-Dibal (currently Karachi), and continued his advance north of Sindh until he reached Kashmir on the borders of India. The Umayyads took advantage of the turmoil in the internal conditions of the Byzantine Empire and the political conflicts over rule in it. Their armies achieved important victories through which they were able to repel Byzantine threats. They regained many Islamic

ports on the coasts of the Mediterranean, in addition to their control over large parts of Armenia. The conquests of the Umayyad state began in the direction of North Africa. When the Umayyads regained control of the Islamic state and the situation relatively calmed down, the Muslims resumed their conquests to conquer North Africa. They cross the sea to reach Andalusia.

Keywords: The social effects, Islamic conquestsm Umayyad era, (Iraq as an example).

تمهيد:

لقد حدثت كثير من التحولات ابان حكم اكثر من خليفة أموي، ابتداءا من بداية حكم معاوية ابن ابي سفيان فمع ان كان حكمه موصوف بالحزم والشدة إلا ان الغالب في الموضوع مدا وجزرا وهذا ما كان يعرف (بشعرة معاوية) تلك الشعرة التي كان معاوية يصف بها حكمه حينما سئل كيف حكمت الرعية لفترة زادت على عشرين سنة، فأجاب أن بينه وبين الرعية شعرة إن شدتها الرعية أرخيت وإن أرخوا شددت .[1]

وقد جاء من يكمل سيرته والمتقلة بحقبة عبد الملك بن مروان فكان يرى الشدة ويجاهر بطلب التغلب بالقوة والعنف، ولو خالف أحكام الدين. وقد يتبادر إلى الذهن أنه فعل ذلك اقتداءً بعامله ونصيره ومؤيد دولته الحجاج بن يوسف، ولا نظنه مقتديًا بذلك؛ لأنه صرح باستهانة الدين منذ ولي الخلافة، وكان قبلها يتظاهر بالتدين فلما تولاها استهوته الدنيا[2].

ذكروا أنه لما جاءوه بخبر الخلافة كان قاعدًا والمصحف في حجره فأطبقه وقال: «هذا آخر العهد بك» أو «هذا فراق بيني وبينك»[3]

فلا غرو بعد ذلك إذا أباح لعامله الحجاج أن يضرب الكعبة بالمنجنيق، وأن يقتل ابن الزبير ويحتز رأسه بيده داخل مسجد الكعبة،والكعبة حرم لا يجوز القتال فيها ولا في جوارها، فأحلوه وظلوا يقتلون الناس

1 الهاشمي، أحمد (د.ت)، الامويون والفتوحات الإسلامية، دار أحياء التراث، ط2،بيروت.،2015، ص206
2 إحسان، علي محمد، **الخلافة الأموية في عصرها الذهبي**، دار المعارف، القاهرة.2014،ص112
3 النجار، محمد الطيب، **الدولة الأموية في المشرق**، دار الاتحاد العربي للطباعة، ط2، القاهرة.2017،ص78

ISSN: 2709-5312

فيها ثلاثًا، وهدموا الكعبة، وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها، مما لم يحدث مثله في الإسلام، ودخلوا المدينة وهي أحد الحرمين وقاتلوا أهلها وسفكوا دماءهم، لم يغلق لها باب إلا أحرق ما فيه، حتى إن الأقباط والأنباط كانوا يدخلون على نساء قريش فينزعون خمرهن من رؤوسهن وخلاخلهن من أرجلهن، بسيوفهم على عواتقهم والقرآن تحت أرجلهن[4].

ناهيك بمن قتلوه من الصحابة والتابعين وأهل التقوى صبرًا، وإنما أرادوا بذلك تحقير أمر علي وشيعته تأييدًا لسلطانهم؛ ولهذا السبب أيضًا لعنوه على المنابر، وأمروا الناس بلعنه وقتلوا من لم يلعنه. وأول من قتل صبرًا في هذا السبيل حجر بن عدي الكندي في أيام معاوية٨٥ وظلوا يلعنون عليًّا على المنابر إلى أيام عمر بن عبد العزيز فأبطل ذلك[5].

المبحث الأول : أسس التعامل الخارجي للدولة الأموية

وفق بنو أمية إلى عمال أشداء زادوهم استبدادًا وشدة، بما توخوه من تمليقهم بالتعظيم والتغرير مما يخالف أحكام الدين. وأول من تجرأ على ذلك الحجاج بن يوسف عامل عبد الملك، فإنه سمى الخليفة «خليفة الله»، وعظم أمر الخلافة حتى فضلها على النبوة فكان يقول: «ما قامت السموات والأرض إلا بالخلافة، وإن الخليفة عند الله أفضل من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين؛ لأن الله خلق آدم بيده، وأسجد له الملائكة وأسكنه جنته ثم أهبطه إلى الأرض وجعله خليفة، وجعل الملائكة رسلًا». وإذا حاجه أحد في ذلك قال: «أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله في حاجته؟». وكان عبد الملك إذا سمع ذلك أعجب به، واقتدى بالحجاج من جاء بعده من العمال الأشداء كخالد القسري عامل هشام بن عبد الملك فقد كان يقول قول الحجاج، وخطب الناس في مكة مرة فقال: «أيها الناس، أيهما أعظم، أخليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم؟» يعرض أن هشامًا خير من النبي، واقتدى بالعمال سائر المملقين من وجوه الدولة، وفيهم جماعة كبيرة إنما أسلموا رغبة في الدنيا فزادوا الأمور فسادًا. وكانوا يملقون العمال من هذا القبيل ويجرئونهم على خرق حرمة الدين: ذكروا أن خالد القسري كان قليل العناية في حفظ القرآن، فإذا تلا آيةً أخطأ فيها وألحن في نطقها، فوقف مرة للخطابة فقال وأخطأ، ثم ارتج عليه وفشل، فنهض صديق له من

4 ناهم ، أحمد، **العصر الأموي**، دار الحرية للطباعة، ط2، بغداد 2016، ص199
5 منصور، حمدي محمود، **صدر الإسلام والعصر الأموي**، دار الفكر، عمان، الأردن، 2019،ص213

تغلب فقال: «خفض عليك أيها الأمير ولا يهولنك، فما رأيت قط عاقلًا حفظ القرآن، وإنما يحفظه الحمقى من الرجال» فقال خالد: «صدقت، يرحمك الله[6]».

فلا غرو بعد ذلك إذا قيل لنا: أن الوليد بن يزيد، سكير بني مروان، رمى القرآن بالنشاب وهو في مجونه وسكره. فقد ذكروا أنه عاد ذات ليلة بمصحف فلما فتحه وافق ورقة فيها وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ فأمر بالمصحف فعلقوه وأخذ القوس والنبل وجعل يرميه حتى مزقه ثم قال:

أتوعد كل جبار عنيد؟

فها أنا ذاك جبار عنيد!

إذا لاقيت ربك يوم حشر

فقل لله: مزقني الوليد

فلم يكن يهم بني أمية نشر الإسلام، وإنما كان همهم الفتح والتغلب وحشد الأموال، فتوقف نشر الإسلام على عهدهم في الأطراف البعيدة كالسند وتركستان مع رغبة أهلهما فيه، وإنما نفرهم منه شدة بني أمية وجشعهم، فكانوا يسلمون ثم يرتدون تبعًا لما يرونه من المعاملة الحسنة أو السيئة[7]. فلما تولى عمر بن عبد العزيز التقى الورع، وسار على خطوات سميه ابن الخطاب، كتب إلى ملوك السند وغيرهم يدعوهم إلى الإسلام على أن يملكهم بلادهم، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وكانت سيرته قد بلغتهم فأسلموا أو تسموا بأسماء العرب. فلما قتل عمر المذكور سنة ١٠١هـ، وعاد بنو أمية إلى سابق سيرتهم ارتد أولئك عن الإسلام[8]. وقس على ذلك ما ارتكبه الأمويون من قتل أبناء علي وصلبهم والمثلة بهم، غير من قتلوه من التابعين وأهل الصلاح صبرًا، وأكثرهم إقدامًا على ذلك عاملهم الحجاج بن يوسف[9].

كان المسلمون في أيام الراشدين يرون الطاعة للإمام واجبة، لا يحتاجون في سياسة شؤونهم إلى حيلة أو عنف، ولا يحيدون عن الحق في أعمالهم أو أقوالهم. إذا أذنب أحدهم اعترف بذنبه وأذعن لما يفرضه

6 مطلوب، أحمد، **فتح الاندلس**، دار البحوث العلمية للنشروالتوزيع، ط2، الكويت.2016، ص234
7 محفوظ، الشيخ علي. **دور القادة في الفتوحات الإسلامية**،ط2، دار الإعتصام للنشر والتوزيع، القاهرة.2018،ص276
8 ليديا، وعد الله، **خلفاء بني أمية**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط2، عمان، الأردن.2017،ص99
9 قطب، سيد. **النصوص التاريخية أصولها ومناهجها**، دار الشروق،ط2، القاهرة.2017،ص123

الخليفة عليه من القصاص ونحوه، فلم تكن الأحكام تحتاج إلى بحث أو نقض أو حيلة، ولا تنفيذها يفتقر إلى شدة أو عنف[10].

وربما اقتصر القصاص على التوبيخ أو اللوم، وإذا أخطأ الخليفة حكم على نفسه كما يحكم على رعيته. ولم يكن عندهم سجن يحبس فيه الناس، وأول من وضع السجن معاوية، وهو أيضًا وضع الحرس٩١ لقلة الحاجة إلى ذلك في عصر الراشدين، فكان عمر بن الخطاب يأمر القائد من كبار الصحابة أن يأتيه فيأتي صاغرًا، مع علمه أنه لو امتنع عن المجيء لعجز الخليفة عن استقدامه[11]. وقد يأمر بجلد الرجل منهم فيذعن مطيعًا. وكان عمر لا يتغاضى عن الذنب الصغير خوفًا من الذنب الكبير؛ ولذلك اشتهر بالحزم والصرامة[12].

فلما تولى الخلافة معاوية، وسلم الأعمال إلى دهاته في العراق، وفارس ومصر وغيرها، والمسلمون لا يزالون في أريحيتهم وأنفتهم، وقد أطلق معاوية ألسنتهم بحلمه وسعة صدره، خاف العمال أن يجر ذلك إلى استفحال الأمر فعمدوا إلى الشدة. وأول من توخى الشدة والعنف زياد بن أبيه عامل معاوية على العراق، زعم أنه يفعل ذلك اقتداءً بعمر بن الخطاب في إقامة السياسات بالصرامة والحزم، ولكنه أسرف وتجاوز الحد. وهو أول من شدد أمر السلطة وأكد الملك لمعاوية، فجرد سيفه وأخذ بالظنة وعاقب على الشبهة[13].

وتولى العراق بعده ابنه عبيد الله بن زياد في خلافة يزيد بن معاوية، وفي أيامه قام الحسين بن علي يطالب بالخلافة، وقد نقض بيعة يزيد وحمل على العراق، فكتب يزيد إلى ابن زياد: «احبس على التهمة، وخذ بالظنة، غير أن لا تقتل إلا من قاتلك[14]».

ولما أفضت ولاية العراق إلى الحجاج بن يوسف في خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥–٨٦هـ)، وقد كثر المطالبون بالخلافة، أراد الحجاج أن يتشبه بزياد وابنه في الشدة والعنف، فبالغ في ذلك حتى أهلك ودمر٩٤ ولم يكن الحجاج أشد وطأة من زياد أو ابنه، ولكن زيادًا كان يزجره حلم معاوية، وابن زياد يزجره أمر يزيد أن لا يقاتل إلا من قاتله. وأما الحجاج فقد أعانته شدة عبد الملك على المبالغة في الشدة، فأكبر المسلمون ذلك ونقموا على تلك الدولة، وكثر الخارجون عليها واتهموا خلفاءها بالمروق من الدين.

10 قباني، محمد. **الدولة الأموية من الميلاد إلى السقوط**،دار وحي القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.2012،ص167
11 فياض، نقولا: **التاريخ من وحي الرواة**، دار الهلال مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية.مصر، 2017،ص145
12 الفلاح قحطان صالح، **في العهد الأموي**، جامعة حلب كلية الآداب والعلوم الانسانية، سورية.2014،ص181
13 فروخ، عمر، **تاريخ العلوم عند العرب**، دار العلم للملايين، ط1،بيروت.2013،ص89
14 عيسى، عبدالرحمن. **الفتوحات في الدعوة الإسلامية**، دار الإيمان، بيروت.2016،ص70

ومن أقوال الخوارج فيهم: «أن بني أمية فرقة بطشهم بطش جبارين: يأخذون بالظنة، ويقضون بالهوى، ويقتلون على الغضب[15]».

توفّيَ هشام بن عبد الملك 125هـ، وآل الحكم من بعده إلى الأحفاد، وكانت تلك بداية انحطاط الدولة في التاريخ السياسي للدولة الأموية؛ إذ توقَّفت الفتوحات الإسلامية، وسيطرت الصراعات الداخلية على الدولة، وتولّى الخلافة وليّ العهد الوليد بن يزيد الذي لم يكن أهلا لها لما عرف عنه من لهو وترف، فأخذ الوليد بن يزيد بملاحقة من أيَّد تنصيب مسلمة بن هشام وليًا للعهد مكانه، فقتلهم، حتى ثارت قبائلهم واستمالت يزيد بن الوليد، الذي قاد جيشا سار به إلى الوليد بن يزيد وقتله[16].

استلم يزيد بن الوليد الحكم من بعده، فأثارت سياسة حكمه الكثير من الفتن الداخلية، بعد أن حاول التقشف، وأعادَ رواتب الجند إلى ما كانت عليه بعد أن رفعها الوليد في عهده، فغضب الجند ولقّبوه بالناقص، كما رفض آخرون مبايعته بعد تفجّعهم بمقتل يزيد، مما سرّع من تدهور الدولة الأموية إلى أن توفّى واستلم من بعده أخوه إبراهيم بن الوليد ولاية العهد بناءً على طلب القدرية، وهنا رفض الكثير من الناس مبايعته، على اعتبار أنه وأخيه يزيد مسؤولين أساسيَّين عن مقتل الوليد والفتن التي فجَّرها، فتدخل ابن عمّهما مروان بن محمَّد والي أرمينيا وأذربيجان، وسارَ بجيش إلى دمشق وخلع الخليفة، وبويع مروان بالخلافة[17].

ويُذكر في التاريخ السياسي للدولة الأموية أنّه عندما بُويع مروان بالخلافة كانت الدولة قد سقطت بالفعل تحت النزاعات والخلافات، وفات الأوان لإصلاحها، فقام مروان بنقل العاصمة من دمشق إلى مدينة حران في الجزيرة؛ لعدم ثقته بمن في الشام، فثار عليه أهل الشام، ولكنه سُرعان ما قمع الثورة، ولكنّها لم تكن الثورة الأخيرة، فقامت واحدة في الجزيرة واليمن عام 127 هـ، وأخرى في الموصل عام 129 هـ، ثم في أفريقيا بين عامَيْ 131- 132 هـ، وقد أنهكت هذه الثورات المتتالية مروان في محاولة السيطرة عليها، حتى تفاجأ بالمدّ العباسي في خراسان فالعراق، فواجهه في معركة الزاب الكبير عامَ 132 هـ، ولكنّه خسر المعركة، وكانت نهاية الدولة الأموية وسُقوطها ونهاية التاريخ السياسي للدولة الأموية في

15 العش، يوسف، **الدولة الأموية** والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق،2012،ص98

16 عبد المطلب، محمد، **تاريخ الفتوحات الاسلامية**،ط2،ج1، بيروت، مكتبة لبنان.2015،ص167

17 عبد اللطيف عبد الشافي محمد.**العالم الإسلامي في العصر الأموي 41هـ**، ط3،ج9،دار الاخوين للنشر، عمان، 2015،ص198

المشرق العربي، وقُتلَ مروان بعدها بشهور، ولوحق بنو أمية في كلّ مكان، وقتلوا على يد العباسيّين بعد قيام دولتهم[18].

المبحث الثاني : المد الإسلامي في الجبهتين الغربية والشرقية

عندما اشتعلت الحرب بين علي ابن أبي طالب -رضي الله عنه، وبين معاوية بن أبي سفيان الوالي على الشام حينئذ. ولقد أدت هذه الفتنة إلى انشغال المسلمين بأنفسهم عن مواصلة الفتح وتثبيت أقدامهم في البلاد التي فتحوها، وعن نشر الدعوة الإسلامية، "مما يعكس الأثر السلبي للخلافات الداخلية على وضع الدولة الإسلامية الناشئة. وهذه السلبية سوف تصبح نمطا يتكرر مرات عديدة في التاريخ الإسلامي، حيث أضحت الخلافات الداخلية عاملا مهددا لوجود ومكانة الدولة، خاصة في فترات الضعف[19]."

وبعد خمس سنوات من الفتنة "٣٥-٤٠هـ- "تعثرت خلالها حركة الفتوحات الإسلامية وظلت تتردد في الضعف- اجتمع المسلمون على معاوية بن أبي سفيان سنة "٤١هـ- "وهو العام المعروف بعام الجماعة- وطوت الأمة الإسلامية هذه الصفحة الحزينة من النزاع والخلاف، واستعادت قوتها من جديد، وانطلقت الحركة من عقالها، منتشرة -كالعادة- في جميع الجهات، ومكتسحة العالم القديم شرقه وغربه[20].

ولقد نجح معاوية في جمع شمل الأمة قبل أن تتفتت تماما، وبعد أن كاد الأمل يضيع في إمكانية الحفاظ على الوعاء الذي يوحد الأمة، ويحفظ الشريعة، فأقام دولة قوية استطاع أن يبدأ بها مرحلة نشطة في العلاقات الدولية والتي كان قطباها حينئذ هما :الدولة الأموية، والدولة البيزنطية[21].

وفي ظل الدولة الأموية استأنف المسلمون اكتساحهم لقارات العالم القديم "آسيا -إفريقيا- أوروبا "فأحيوا حركة الفتوحات الكبرى، متوغلين في أقطار الدولة البيزنطية حتى مياه "البوسفور "واستولوا على معظم الجزر الواقعة شرقي البحر المتوسط وغربيه وجنوبيه وواصلوا ضغطهم على مدينة "القسطنطينية "عاصمة الدولة البيزنطية، وحاصروها أكثر من مرة. كما أنهم فتحوا شرق العالم حتى اقتربوا من حدود الصين، واستكملوا فتح الشمال الإفريقي كله، من حدود مصر الغربية إلى المحيط

18 عبد الرحمن، حكمت،نجيب،**دراسات في تاريخ العلوم عند العرب**، جامعة الموصل، الموصل، 2012،ص213
19 عبد الخالق، غسان، **النقد التاريخي القديم**، نصوص نقدية مختارة قراءة تطبيقية مساندة، جامعة فيلادلفيا، عمان،2016، ص254
20 العاكوب، عيسى، **نظرية النصوص والمخطوطات التاريخية في القرن العشرين**،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،ط3، دار الفكر، بيروت، 2015، ص245
21 الطباع، عمر فاروق،. **مواقف التاريخ الأموي**، دار القلم، ط2،بيروت.2013،ص98

الأطلسي، ثم عبروا المضيق الذي عرف بـ "جبل طارق "إلى القاهرة الأوروبية ففتحوا إسبانيا، ووصلوا إلى نهر "اللورين "جنوبي فرنسا[22].

ويعتبر النشاط الحرب خلال العصر الأموي من الصفحات المشرقة في تاريخ الأمويين، وعملا من أعمال البطولة والمجد تحسب لدولتهم، وتعطي لها أهمية بالغة، ومكانة مرموقة في التاريخ الإسلامي، بل نكاد نقول :إن الأعمال الحربية التي خاضها القادة العظام في عصر الخلافة الأموية -سواء أكانوا من البيت الأموي "كمحمد بن مروان، وابنه مروان، ومسلمة بن عبد الملك "أم من غير الأمويين "كعقبة بن نافع، وموسى بن نصير، ومولاه طارق بن زياد، وقتيبة بن مسلم "ومحمد بن القاسم، وغيرهم -"تعد علامة بارزة في الفن العسكري العالمي، فلقد حقق هؤلاء القادة المجاهدون ما يشبه الخوارق بمقياس عصرهم، إذ تمكنوا -من خلال زمن وجيز- من الانتشار في أرجاء العالم المعروف آنذاك[23].

وقد توزعت فتوحات الدولة الأموية على ثلاث جبهات كبرى في وقت واحد، مما يدلل على أن السياسة الحربية الفتحية كانت هي نشاط الأمويين الأساسي:

وأول هذه الجبات" :بيزنطة "باعتبارها مركز القوة الرئيسية التي كانت ولا تزال في موقف التهديد المباشر لبلاد الإسلام في المجالين البري والبحري على السواء.

وثانيهما :في اتجاه الشمال الإفريقي "بلاد المغرب"، وهو ميدان بيزنطي أيضا في صبغته الرسمية، وإن تجرد من القدرة على التهديد المباشر للنفوذ الإسلامي، وتميز بوجود عامل جديد مؤثر، هو العامل المحلي المتمثل في" البربر "سكان البلاد الأصليين.. وانطلاقا من هذا الميدان امتدت جهود الفاتحين إلى "شبه جزيرة إيبيريا" "إسبانيا" وجنوب فرنسا.

أما الميدان الثالث :فكان في اتجاه الشرق: الشمالي والجنوبي، حيث مواطن الأتراك والهنود وبقايا الفرس[24]

أولا: الفتوحات في الشرق

تشمل الجبهة الشرقية للدولة الإسلامية المناطق الواقعة شرق العراق. وقد اتسمت الأمم التي كانت تقطن تلك المناطق بالتعدد جنسا وحضارة، وإن اتفقت جميعها في الوثنية.

وكان المسلمون حتى خلافة عثمان (رضي الله عنه) قد أتموا فتح البلاد التي تقع بين العراق ونهر "جيحون" "وهو نهر آمودار يا الذي يقع -الآن- على الحدود بين تركمانستان وأزبكستان "أي كل

22 ضيف، شوقي، **تاريخ الفتوحات العربية**، دار المعارف،ط3، القاهرة.2017،ص210

23 محمد، محمد عامر: عصر الخلافة الأموية بداية التغييرات في التاريخ الإسلامي "ص١٦٢" ط القاهرة 2012م,ص187

24 صفوت، أحمد زكي. تاريخ عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، ط3، بيروت.2016،ص170

أقاليم دولة إيران الساسانية، وتضم منطقة الجبال و""الري"، و"جرجان "و"طبرستان "و"وقوهستان " و"خراسان "و"فارس "و"كرمان "و"مكران "و"سجستان ."فلما استشهد عثمان رضي الله عنه ووقعت الفتنة تعثرت الفتوح، وخرج أهل هذه البلاد عن الطاعة، حتى إذا التأمت جماعة المسلمين أخذت الدولة الأموية تبذل جهودا بالغة لإعادة البلاد المفتوحة إلى الطاعة، وكانت مهمة معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه- العاجلة في الشرق فور توليه الخلافة هي تدعيم القوة الإسلامية، وإعادة توطيد أقدام المسلمين هناك، وقد نجحت الدولة الإسلامية في عهده في فتح معظم" خراسان "على يد أميرها عبيد الله بن زياد، وكان معاوية قد ولاه على البصرة والكوفة" ٥٣-٥٩هـ"، وعمل هذا الأمير على مد حركة الفتح إلى بلاد ما وراء النهر، وغزا" بيكند "و"بخارى "من بلاد الصغد، واضطرهما إلى دفع الجزية، ثم قف راجعا إلى البصرة. ويبدو أنه أقم على عبور نهر" جيحون" إلى ما ورائه من البلاد بعد أن أسلمت خراسان قيادها للمسلمين وعز فيها الإسلام[25].

لقد كانت هذه الفتوحات في المنطقة الشرقية تسير في خطين:

أحدهما :شمالي إلى بلاد ما وراء النهر.

والآخر :جنوبي إلى بلاد السند.

-بلاد ما وراء النهر:

أطلق المسلمون اسم "بلاد ما وراء النهر "على البلاد التي يفصلها نهر "جيحون "عن "خراسان "وهي التي تقع وراءه من جهة الشرق والشمال. وتعرف الآن باسم "آسيا الوسطى "الإسلامية، وتضم خمس جمهوريات إسلامية كانت خاضعة للاتحاد السوفيتي، ثم من الله عليهم فاستقلوا بعد انهياره. وهذا الجمهوريات هي الآن "أوزبكستان "و"طاجيسكتان "و"قازاخستان "و"تركمانستان "و"قرغيزيا."

وتقع بلاد "ما وراء النهر "بين نهر "جيحون" "أمودريا "جنوبا، ونهر "سيحون" "سرداريا -يقع الآن في كازاخستان "شمالا. ويطلق عليها -أحيانا- بلاد "الهياطلة "وكان أهلها وثنيين من أصول تركية، حلوا بها منذ القرن السادس الميلادي.[26]

وتتميز بوفرة المياه، لوجود نهري "جيحون "و"سيحون "وروافدهما الكثيرة، مما ساعد على خصوبة المنطقة وكثرة الزراعة والعمارة فيها، واجتذاب السكان إليها.

---

25 الشايب، أحمد، الأسلوب في كتابة الفتوحات الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية،ط2، القاهرة.2017،ص 126

26 الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح، **المستطرف في كل فن مستظرف** تحقيق مفيد،قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت.2014

ISSN: 2709-5312

ويمكن تقسيمها -عند الفتح الإسلامي- إلى عدة أقاليم أو ممالك مستقلة، هي

١ -إقليم "طخارستان"، ويقع على صفتي نهر "جيحون ."وعاصمة "بلخ."

٢ -إقليم "الصغد "ومن أشهر مدنه" :بخارى "وسمرقند."

٣ -إقليم "خوارزم ."ويشمل على دلتا نهر" جيحون ."وعاصمته :مدينة" الجرجانية."

٤ -إقليم "الختل "في أعالي نهر "جيحون ."وعاصمته مدينة "هلبك ."ومن مدنه" :أشجرد "و"الصغانيان."

وكانت هذه الممالك الأربعة تسمى بالممالك "الجيحونية."

٥ -إقليم "فرغانة"، على نهر "سيحون ."وتعرف اليوم باسم "خوقند."

٦" -إقليم الشاش "على نهر سيحون أيضا، وتعرف اليوم باسم "طشقند" "عاصمة كازاخستان الآن."

ومن مدة هذين الإقليمين الأخيرين" :خجندة "و"إيلاق "و"إسبيجاب

ومن الجدير بالذكر أن الترك الذين واجههم المسلمون في هذه البلاد -بلاد ما وراء النهر الواقعة بين بلاد إيراه وبلاد المغول- كانوا أجناسا، وكان أول جنس قابلوه هو جنس "الهياطلة"Heptalirtes" "، وكانوا قسمين كبيرين:

١ -قبائل الشمال، وهي التي تسمى في الغالب باسم "الهياطلة"، ويلقب ملكهم بـ" الزونبيل"، وهذا اللقب يقرأ أحيانا" الرتبيل "خطأ.

٢ -قبائل الجنوب، وهي التي تسمى بالزابليين، وقد استقروا في إقليم، "زابلستان" "راجع الخريطة"، وأعطوه اسمهم[27].

ولم يكن "الهياطلة "هم الجنس التركي الوحيد الذي دخل المسلمون في صراع معه في هذه المرحلة من مراحل بنائهم للدولة الإسلامية، بل كان هناك الترك" البختيون"، ويسمون في غير العربية باسم "البكتريين "نسبة إلى إقليم" باكتريا "الذي سكنوه. وعندما دخل المسلمون في صراع مع الترك قاتلوا "البختيين "في نفس الوقت الذي قاتلوا فيه الهياطلة، وكلا الفريقين ينتمي إلى الأتراك" الغزية"

وقد طرق المسلمون هذه البلاد عدة مرات منذ خلافة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- "٢٣-٣٥هـ"، وغزاها -في خلافة بني أمية- عدد من القادة المسلمين إلى سنة" ٨٦هـ" منهم: عبيد الله بن زياد، وسعيد

27 ابن الأثير، عز الدين أبا الحسن، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق:أبو الفداء عبدالله القاضي، المجلد2، 2013،ص123

بن عثمان بن عفان، والمهلب بن أبي صفرة، وولديه :يزيد والمفضل، ولم تسفر حملات هؤلاء القادة عن فتح دولة ما.[28]

وقد انعكست الخلافات والانقسامات التي أعقبت موت معاوية بن أبي سفيان من "سنة ٦٠هـ "إلى سنة "٧٢هـ "على الفتوح في هذه المنقطة، وأصبح المسلمون في موقف دفاعي، حيث اغتنم الترك انشغال المسلمين بهذا الخلاف، فكانوا يغيرون على ديار الإسلام، ويحرضون أهل الصلح من البلاد على الثورة، وبلغوا في بعض هجومهم إلى قرب "نيسابور "في خراسان، وفقد المسلمون كثيرا من المناطق التي كانوا يسيطرون عليها[29].

"فما أن تمكن عبد الملك بن مروان" ٦٥-٨٦هـ "من القضاء على مناوئيه حتى بدأ يولي الفتح الاهتمام الواجب، وكان ولادته على إقليم العراق هم مفتاح النجاح على الجبهة الشرقية، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي الذي ولي على العرق والمشرق" سنة ٧٥هـ "ذا فضل كبير بسبب شدته وصرامته في تحقيق قدر كبير من الاستقرار في العراق -ولو ظاهريا- مكن من خروج الحملات العسكرية نحو الأقاليم الشرقية ." وقد اضطلع بعبء هذه الفتوح ثلاثة من قادة الحجاج المشهورين، وهم :المهلب بن أبي صفرة الأزدي، وقتيبة بن مسلم الباهلي، ومحمد ابن القاسم الثقفي

أما المهلب بن أبي صفرة فقد ولاه الحجاج على خراسان سنة "٧٨هـ"، وقام بفتوح واسعة فيما وراء النهر، وغزى مغازي كثيرة، ففتح مدينة "كش "في مملكة "الصغد"، ووجه منها حملة بقيادة ابنه "يزيد "إلى ملك "الختل "واضطره إلى دفع الجزية. كما فتح يزيد قلعة "نيزك "بإقليم "بادغيس "بين "مرو "و"هرات"، وغزا "خوارزم"، واستطاع المهلب وأبناؤه في مدة عامين تقريبا -أن يعيد هيبة المسلمين في المنطقة، وإن كان لم يوفق في إقامة قواعد ثابتة هناك[30]

فتوحات قتيبة بن مسلم في بلاد ما وراء النهر:

أما المرحلة الحاسمة في الفتح والاستقرار فقد بدأت مع تسلم "قتيبة بن مسلم الباهلي "قيادة جيوش الفتح وولاية إقليم خراسان وبلاد الشرق "سنة ٨٥هـ "وظل واليا عليها إلى سنة "٩٩هـ"، وقد كانت الظروف مواتية له تماما، فالدولة الأموية كانت عندئذ في أحسن حالاتها استقرارا وهدوءا وثراء عريضا، فاجتمع

28 البستاني بطرس (د.ت) **محيط المحيط**، مكتبة لبنان بيروت، ج2، 2016، ص44
29 الخزاعي، دعبل بن علي. **أحاديث التاريخ**، تحقيق عبد الكريم الأشتر، مطبوعات اللغة العربية دمشق مجمع الحكمة، 2014، ص59
30 الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك**،تحقيق علي هادي، دار الكتب العلمية، القاهرة.2016،ص190

لقتيبة مهارة القائد وعزم الوالي "الحجاج بن يوسف الثقفي "وتشجيعه، وقوة الدولة وهيبتها، فكانت فتوحاته العظيمة في بلاد "ما وراء النهر[31]

ولم يكن "قتيبة "قائدا عسكريا فحسب، بل كان إلى جانب ذلك رجل دولة، وصانع سياسة، وواضع نظم وإدارة، فعمل بعد تسلمه أمور الولاية على القضاء على الخلافات العصبية التي كانت تعصف بالقبائل العربية في "خراسان"، من جراء التنافس على الولايات، وجمع زعماءهم على كلمة واحدة تحت الجهاد، كما أنه عمل على كسب ثقة أهل "خراسان "الأصليين، فأحسن إليهم، وقربهم، وعهد إليهم بالوظائف، فاطمأن الجميع إليه، ووثقوا به وبقيادته[32]

سار قتيبة على نفس الخطة التي سار عليها آل المهلب، وهي خطة الضربات السريعة المتلاحقة على الأعداء، فلا يترك لهم وقت للتجميع، غير أنه امتاز على المهالبة بأنه كان يضع لكل حملة خطة ثابتة، ويحدد لها وجهة معينة، ويجتهد في الوصول إلى ما يقصده، غير عابئ بالمصاعب، معتمدا على الله عز وجل، ثم على بسالته النادرة، وروح القيادة التي امتاز بها، وإيمانه العميق بالإسلام[33]

ولقد مرت خطوات "قتيبة "في فتح تلك البلاد -على مدى عشر سنوات "٨٦-٩٦هـ -"عبر مراحل أربع، حقق في كل منها فتح ناحية واسعة فتحا نهائيا، وثبت أقدام المسلمين والإسلام فيها .وهذه المراحل هي :

فتوحات قتيبة بن مسلم في بلاد ما وراء النهر:

1- أما المرحلة الحاسمة في الفتح والاستقرار فقد بدأت مع تسلم "قتيبة بن مسلم الباهلي "قيادة جيوش الفتح وولاية إقليم خراسان وبلاد الشرق "سنة ٨٥هـ "وظل واليا عليها إلى سنة "٩٩هـ"، وقد كانت الظروف مواتية له تماما، فالدولة الأموية كانت عندئذ في أحسن حالاتها استقرارا وهدوءا وثراء عريضا، فاجتمع لقتيبة مهارة القائد وعزم الوالي "الحجاج بن يوسف الثقفي "وتشجيعه، وقوة الدولة وهيبتها، فكانت فتوحاته العظيمة في بلاد "ما وراء النهر[34]."

ولم يكن "قتيبة "قائدا عسكريا فحسب، بل كان إلى جانب ذلك رجل دولة، وصانع سياسة، وواضع نظم وإدارة، فعمل بعد تسلمه أمور الولاية على القضاء على الخلافات العصبية التي كانت تعصف بالقبائل العربية في "خراسان"، من جراء التنافس على الولايات، وجمع زعماءهم على كلمة واحدة تحت الجهاد، كما أنه عمل على كسب ثقة أهل "خراسان "الأصليين، فأحسن إليهم، وقربهم، وعهد إليهم

31 الفيروز آبادي، أبو طاهر، الإمام مجد الدين (د.ت) **القاموس المحيط**، مطبعة بولاق مصر.2013،ص198

32 الطيبي، شرف الدين الحسين بن محمد بن عبدالله، **التبيان والتبيين**، تحقيق توفيق الفيل وعبد اللطيف لطف الله، دار ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت.2016،ص165

33 المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم دار الفكر العربي، القاهرة، 2017،ص187

34 عبد الشافي، محمد عبد اللطيف، العصر الأموي "الجزء الثاني من موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي،2016 ص٣٠

بالوظائف، فاطمأن الجميع إليه، ووثقوا به وبقيادته' سار قتيبة على نفس الخطة التي سار عليها آل المهلب، وهي خطة الضربات السريعة المتلاحقة على الأعداء، فلا يترك لهم وقت للتجميع، غير أنه امتاز على المهالبة بأنه كان يضع لكل حملة خطة ثابتة، ويحدد لها وجهة معينة، ويجتهد في الوصول إلى ما يقصده، غير عابئ بالمصاعب، معتمدا على الله عز وجل، ثم على بسالته النادرة، وروح القيادة التي امتاز بها، وإيمانه العميق بالإسلام[35].

٢ -كان السكان في هذه المناطق يرضون بالصلح أو يعتنقون الإسلام ظاهريا في بداية الأمر كما أسلفنا، وما إن ينصرف الجند المسلمون حتى ينقضوا العهد أو يرتدوا عن الإسلام. وهذا يظهر بوضوح مدى منطقية مفهوم "عقبة بن نافع- "فاتح" إفريقية "ومؤسس مدينة" القيروان "فيها -بضرورة أن يكون الفتح معنويان، وليس عسكريا، فالفتح المعنوي يحتاج إلى وجود مسلمين مقيمين في المنطقة بعد فتحها يفتحون القلوب بالإيمان والعلم. أما الفتح العسكري فيتم بواسطة الجند الذين يرتحلون بعد نجاح المهمة العسكرية فلا يحققون شيئا في الواقع إلا فتح الأرض التي تنقض عليهم فور انسحابهم[36].

٣ -لا شك أن قيادة "قتيبة بن مسلم "الفذة وخططه العسكرية المحكمة، ودعم القيادة العليا له -ممثلة بالحجاج في العراق، والخليفة عبد الملك، ثم ابنه الوليد في الشام -إضافة إلى ما كان من طاقات إيمانية عند الجند :جعل النصر حليف المسلمين في هذا الميدان، وقد ساعد ذلك -مع المعاملة الطيبة لأهل البلاد- على تحويل المنطقة إلى دار إسلام[37].وبوفاة "قتيبة بن مسلم" توقفت فتوحات المسلمين على هذه الجبهة عند هذا الحد

4 -فتح بلاد السند "حملات محمد بن القاسم:"

انقسمت شبه القارة الهندية في القديم إلى قسمين جغرافيين كبيرين، هما" :بلاد السند والبنجاب "و"بلاد الهند."

وبلاد السند هي البلاد المحيطة بنهر السند"Indus" ، الذي كان يسمى من قبل بـ" نهر مهران"، وينبع من عيون في أعالي السند وجبالها من أرض قشمير" كشمير"، ويصب في بحر السند" المحيط الهندي ." وتمتد هذه البلاد غربا من إيران، إلى جبال" الهمالايا "في الشمال الشرقي، تاركة شبه القارة الهندي في جنوبها. وتكون -الآن- جزءا كبيرا من دولة باكستان الحالية[38].

35 المروزي، أبو عبد الله نعيم بن حماد الخزاعي، **كتاب الفتن**، تحقيق سمير أمين الزهيري، مكتبة التوحيد القاهرة.2013،ص156

36 العصر الأموي "الجزء الثاني من موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، 2014 ص34."

37: الدولة الأموية دولة الفتوحات، 2015ص"٥٠."

38 الدولة الأموية دولة الفتوحات، ص"٥٠."

ISSN: 2709-5312

ومن مدن السند :مدينة "الديبل" "مكان كراتشي الحالية"، "قندابيل"، و"قيقان"، و"لاهور"، و"قصدار"، و"الميد"، و"الملتان "المجاورة للهند، وتقع على أعلى رافد من روافد نهر مهران، وكان العرب يطلقون على "السند "من الأسماء" :ثغر الهند"، لأنه كان في ذلك الوقت المعبر إلى بلاد الهند.[39]

وقد سبق الفتح المنظم لبلاد "السند "سلسلة من الحملات والغزوات قام بها المسلمون، لمعرفة طبيعة البلاد وجمع المعلومات عنها، كما حدث لبلاد ما وراء النهر. وكانت البداية مبكرة في عهدة الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه، وتتابعت الغزوات بعده في خلافة كل من عثمان وعلي معاوية -رضي الله عنه، وحقق المسلمون فيها انتصارات عديدة، وغنموا مغانم كثيرة، إلى أن جاء عهد الوليد ابن عبد الملك "٨٦-٩٦هـ"، فجاء عهد الفتح المنظم لهذه البلاد.[40]

وبعد أن استقام الأمر للحجاج بن يوسف الثقفي في جنوبي بلاد فارس، وتوطدت أقدام المسلمين هناك، وقضى على تمرد الملك "رتبيل "ملك سجستان، وأخضع بلاده بدأ يعد العدة لفتح إقليم" السند" نهائيا، فأرسل عدة ولاة قتلوا في الغزو واحدا بعد آخر، إلى أن استقر رأيه على تعيين قائد كبير أسند إليه هذه المهمة وهو ابن أخيه وصهره "محمد بن القاسم الثقفي"، الذي عرف بفاتح السند، وكان واليا على فارس في سن السابعة والعشرين من عمره، وجهزه بما يكفل له النكاح من عدة وعتاد، وأمده بستة آلاف جندي من أهل الشام، إضافة إلى ما كان معه من الجنود، فاجتمع تحت قيادته نحو عشرين ألفا في تقدير بعض المؤرخين، وأنفق الحجاج على الجيش ستين ألف ألف "٦٠,٠٠٠,٠٠٠ "درهم[41].

ويمكن تلخيص مراحل الفتح التي قام بها محمد بن القاسم في الخطوات الآتية:

١ -سار محمد بن القاسم بجنده من "شيراز "إلى "مكران"، وأقام بها أياما واتخذ منها قاعدة للفتح ونقطة انطلاق، ثم فتح "قنزابور"، ثم "أرمائيل."

٢ -تقدم لفتح "الديبل"، وتقع -الآن- قريبة من كراتشي في باكستان، وجعل عتادة أزواده في سفن أرسلها بالبحر من "أرمائيل"، وحاصر "الديبل"، ونصب عليها المنجنيق، وفتحها بعد قتال عنيف دام ثلاثة أيام، وهدم "البد "الكبير بها، وكل "بد "آخر "والبد: كل تمثال أو معبد لبوذا "ثم حولها إلى مدينة إسلامية، وأزال منها كل آثار البوذيون وبنى بها المساجد وأسكنها أربعة آلاف مسلم.

٣ -كان لفتح المسلمين مدينة "الديبل "أثر كبير على أهل "السند "فسارعوا يطلبون الصلح، فصالحهم محمد بن القاسم ورفق بهم، ثم سار إلى مدينة "البيرون" "حيدار أباد السند حاليا "فصالح أهلها، وجعل لا

39 المقدسي، محمد بن مفلح. **الأداب الشرعية والمنح المرعية** عالم الكتب، القاهرة.2016،ص123

40 ابن هشام، السيرة النبوية،تحقيق إيناس عبد الله، دار الكتب العلمية،ط3، بيروت.2012،ص167

41 شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، دار الزيتون للنشر, عمان "الجزء الثاني، 2016، ص١٣٩."

يمر -بعد- بمدينة إلا فتحها صلحا أو عنوة، حتى بلغ نهر "مهران"، فعبر النهر، وفاجأ "داهر "ملك السند، والتقى معه في معركة حامية "٩٣هـ "قتل فيها الملك، وانقض جمعه. وبمقتله استسلمت بقية بلاد السند، وأصبحت جزءا من بلاد الإسلام.

٤ -مضى محمد بن القاسم يستكمل فتحه، فاستولى على مدن وحصون كثيرة إلى أن اجتاز نهر "بياس "واقتحم مدينة "الملتان "في إقليم البنجاب "راجع الخريطة "في جيش عداده خمسون ألفا من الجنود والفرسان "عشرهم فقط من الجيش الأصلي لفاتح، ومعظمهم ممن انضم إلى المسلمين بعد نجاحهم في المعارك السابقة"، فاستولى على المدينة بعد قتال عنيف، وقضى على كل التماثيل والمعابد البوذية هناك، وغنم مغانم كثيرة من الذهب والفضة، ولهذا سميت" الملتان "بيت" أو ثغر "الذهب[42].

وقد اتبع ابن القاسم في هذه المدينة ما اتبعه في المدن الأخرى التي فتحها، من حيث التنظيمات المالية والإدارية والعسكرية، فعين الحكام على كورها المختلفة، وترك بها حامية من الجنود، وأخذ العهود والمواثيق على أعيان المدينة بأن يعملوا على استقرار الأمن.

٥ -وفي أثناء وجود محمد بن القاسم في "الملتان "جاءه خبر وفاة الحجاج، فاغتم لذلك، لكنه واصل فتوحاته حتى أتم فتح بلاد السند، وجاءته قبائل" الزط "و"الميد- "المعروفين بقطع الطرق البرية والبحرية- مرحبين به، وتعهدوا له بالطاعة والعمل على سلامة الطرق في البر والبحر.

٦ -انتهت أعمال ابن القاسم الحربية بإخضاع إقليم "الكيرج "على الحدود السندية الهندية وهزيمة ملكه "دوهر "ومقتله؛ ودخول أهله في طاعة المسلمين

وكان محمد بن القاسم يتطلع إلى فتح إمارة "كنوج" "قنوج "Kanyj" "أعظم إمارات الهند والتي كانت تمتد من السند إلى البنغال، فاستأذن" الحجاج "فأذن له، وبينما هو على أتم الاستعداد لذلك كخطوة أولى نحو الوصول إلى" كشمير "وإتمام فتح كل السند والهند إذ وصله موت الحجاج" ٩٥هـ"، ومن بعده بستة أشهر الخليفة الوليد عبد الملك" ٩٦هـ"، وتولى أخوه سليمان الخلافة وكان سليمان ينقم على" الحجاج " وصنائعه، لأنه أقر" الوليد بن عبد المملك "على خلع بيعة" سليمان" وعقدها لابنه عبد العزيز بدلا منه، ومن ثم فما أن تولى حتى عزل محمد بن القاسم عن ولاية السند، وأمر به مقيدا إلى دمشق حيث عذب

42 أمين أحمد، **فجر الإسلام، بحث عن الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية**، تحقيق عبد الله حسين، شركة نوابغ الفكر للنشر، القاهرة.2015، ص187

حتى موت، دون أن يشفع له جهاده في سبيل نشر الإسلام في مناطق استعصت على المسلمين طويلا، بل كان الاعتبار الأهم هو للأهواء الشخصية[43].

ويعلق كتاب السير على مقتل ابن القاسم بقولهم "وإن المرء ليعجب كيف تنتهي حياة ذلك الشاب بهذه الصورة المريرة، وهو الذي فتح كلا بلاد لسند، ونشر الإسلام في كافة أرجائها في فترة قياسية لم تتجاوز السنوات الثلاث؟ كيف يواجه محمد بن القاسم هذا المصير المؤلم ويجزى ذلك الجزاء المهين؟ لقد تضاءلت أمام أعماله الحربية والسياسية عظمة الإسكندر" المقدوني "وشهرته، إذ بينما عجز الإسكندر قبل ألف عام عن الاستيلاء على قسم ضئيل من الهند كان سكانه أقل من ربع السكان زمن ابن القاسم استطاع هذا الفتى أن يخضعها ويلحقها بالدولة الإسلامية من غير كبير عناء[44] .

وقد قال مؤرخ إنجليزي :لو أراد ابن القاسم أن يستمر بفتوحاته حتى الصين لما عاقه عائق، ولم يتجاوز أحد من الغزاة فتوحاته إلى أيام الغرنوبين. لقد كان واحدا من عظماء الرجال في كل العصور.[45]"

ومهما يكن من أمر فقد توقفت الفتوحات في جبهة السند بمجرد مغادرة محمد بن القاسم البلاد، وانكمش المسلمون في المناطق التي تم فتحها من قبل، وتركت الأوضاع السياسية السيئة في عاصمة الخلافة "دمشق "تأثيرها على الاستقرار والأمن في شبه القارة الهندية، فقامت الثورات والفتن في بعض المناطق الخاضعة للمسلمين، وحاول بعض أمراء السند وملوكها الذين قد فروا إلى كشمير وغيرها العودة إلى البلاد، ونجح بعضهم في استعادة سلطانه ونفوذه، مستفيدا من الاضطرابات الداخلية في العالم الإسلامي[46].

ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة "٩٩-١٠١هـ "كتب إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام والطاعة، فدخلت بد السند كلها في طاعة المسلمين، وأسلم أهلها وملوكها وتسموا بأسماء العرب، وبهذا أصبحت بلاد السند بلاد إسلام. ثم عادت واضطرب في أواخر بني أمية، إلى أن انتظمت في خلافة أبي جعفر المنصور -العباسي "١٣٦-١٥٧هـ "وفي أيامه افتتحت "كشمير "ودخلت في دولة الإسلام [47].

---

43 بشبندر، ديفيد، نظري**ة التاريخ المعاصر**، ترجمة: عبد المقصود عبد الكريم،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط3، القاهرة، 2012،ص167

44 البعلبكي، منير وآخرون، **المصور في التاريخ حضارات العالم في العصور القديمة والوسطى** دار العلم للملايين،ط3، بيروت.2015،ص98

45 التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان "السند والبنجاب" إلى آخر فترة الحكم العربي، للدكتور عبد الله جمال الدين ص"٣٤-٧٧"،

46 الحوفي، أحمد محمد، **السرد التاريخي** ،(د.ت)، ط4، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، قاهرة.2013،ص167

47 الخفاجي، عبد المنعم، **الحياة بعد ظهور الإسلام**، دار الجيل،ط2، بيروت. 2015،ص189

ولا بد من الإشارة إلى أن الفتح العربي الإسلامي للسند لم يكن فتحا عسكريا فحسب، وإنما -كما حدث في الجبهات الأخرى- تنقلت العشائر العربية إلى هناك، وحمل العرب إلى البلاد نفس أسلوبهم في الحياة، كما انتشرت الثقافة الإسلامية والعربية في المدن التي ستؤسس فيما بعد، مما ساعد على نشر الإسلام والعربية، بل هاجرت إلى الهند نفس الصور الفكرية التي طبعت العالم الإسلامي في القرن الأول الهجري، كما انتقلت إليها فرق ودعايات الخروج والشيعة[48]

ثانيا: الفتوحات في الجانب البيزنطي

(سيطرة المسلمين على الحوض الشرقي للبحر المتوسط في عصر الراشدين)

كان الروم البيزنطيون أشد أعطاء المسلمين، وأقواهم شكيمة. وقد أدرك معاوية بن أبي سفيان هذه الحقيقة حيث قضى أربعين عاما في قتالهم، منذ أن كان واليا على الشام في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه، وإلى وفاته "سنة ٦٠هـ "ولذلك نراه يوصي من بعده بقوله" :شذوا خناق الروم، فإنكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم"[49]

وفي إقليم الشام تاخمت حدود الدولة الإسلامية حدود الأمبراطورية البيزنطية، كما جاورت ممتلكات تلك الأمبراطورية سواحل الشامل في حوض البحر المتوسط الشرقي، ومن ثم هدد الخطر البيزنطي إقليم الشام برا وبحرا، ويعتبر الانتصار الحاسم الذي أحرزه المسلمون على الجيوش البيزنطية في موقعة "اليرموك" "١٣هـ/ ٦٤٣م "أو "١٥هـ/ ٦٣٦م "نقطة تحول هامة في حركة الفتوح الإسلامية، أدت إلى انهيار قوي الروم، وانفصال الشام عن جسم الامبراطورية البيزنطية. ويذكر المؤرخون أن "هرقل "عندما بلغه نبأ الكارثة التي حلت بجيوشه في معركة "اليوموك "رحل إلى "القسطنطينية"، فلما تجاوز الدرب الذي يصل أرض الشام بأرض "بيزنطة "نظر إلى الأراضي السورية وقال -يودعها بنظرة" -عليك يا سورية السلام، ونعم البلد هذا للعدو"[50]

وعلى إثر هذه المعركة أخذت مدن الشام الكبرى في الشمال والجنوب تتساقط سريعا، الواحدة بعد الأخرى في أيدي المسلمين. ولم يكد هؤلاء ينتهون من فتح دمشق "حتى وجهوا جهودهم لفتح المدن الساحلية الشامية والجزر الواقعة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط:

١ -فقد استولى عمرو بن العاص -رضي الله عنه- في بداية فتوح الشام- على موانئ "غزة "و"عسقلان "و"عكا" "سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م."

48 الزعبي، أحمد، **التاريخ الاموي نظريا وتطبيقيا"**، مؤسسة عمان للنشر، ط3، الأردن.2015،ص156

49 أبو زهرة، الإمام محمد، **الفتوحات الاسلامية**. تاريخها في أزهى عصورها عندالعرب، دار الفكر العربي، ط2،القاهرة.2015،ص123

50 شاكر، محمود، **التاريخ الإسلامي**، دار المكتب الإسلامي للنشر، ط1-القاهرة. 2015، ص76

٢ -ثم استولى يزيد بن أبي سفيان "الوالي على الشام -قبل أخيه معاوية- في خلافة عمر بن الخطاب "على "صيدا "و"صور "و"بيروت "و"جبيل" "سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م."

٣ -واستولى عبادة بن الصامت -بأمر من يزيد بن أبي سفيان- على موانئ السواحل الشامية الشمالية، مثل "اللاذقية "و"جبالة"، و"أنطرسوس."

٤ -وعندما تولى معاوية بن أبي سفيان إمارة الشام بدأ النشاط البحري الكبير في شرق البحر المتوسط، وأظهر في فتح المنطقة الساحلية عبقرية فذة، وبذل فيها جهودا ذات "بلاء حسن وأثر جميل "على نحو ما شهد له بذلك قادة المسلمين، فاستولى على "قيسارية" "سنة ١٩هـ/ ٦٤٠م ."وهي من أهم المدن الساحلية بالشام، ثم على مدينة "طرابلس "التي كانت ميناء "دمشق "ومفتاح حياتها الاقتصاديةن وتتفوق على سائر مدن الشام في حصونها وبهائها.

٥ -وقد اهتم معاوية بغزو جزر البحر المتوسط المواجهة لساحل الشام ليتخذها مراكز أمامية يوجه منها الغزوات البحرية إلى بلاد البيزنطيين نفسها، فاستولى على "أرواد "و"رودس ."ثم قاد أول حملة بحرية إسلامية على جزيرة "قبرص[51]"، فتوجه إليها من "عكا" "سنة ٢٨هـ/ ٦٤٥م"، وما كادت السفن الإسلامية ترسو إلى ساحلها حتى أذعن أهلها بالطاعة للمسلمين، وصالحهم معاوية على جزية سنوية، واشترط عليهم أن يلتزموا الحياد في الصراع العربي البيزنطي، وأن يبلغوا المسلمين بسير عدوهم من البيزنطيين. فلما كانت "سنة ٣٢هـ/ ٦٥٢م "أعان أهل قبرص البيزنطيين على الغزاة في البحر بسفن قدموها لهم، فغزاهم معاوية "سنة ٣٣هـ/ ٦٥٣م "في خمسمائة سفينة، وافتتح الجزيرة -في هذه المرة- عنوة، ثم أقرهم على صلحهم الأول، وارسل إليهم اثني عشر ألفا من المسلمين ليقيموا في الجزيرة، ونقل إليها جماعة أخرى من مسلمي بعلبك، فبنوا المساجد والبيوت'

٦ -وقد خاص المسلمون في أواخر العصر الراشدي موقعة بحرية هامة ضد البيزنطيين حسمت السيادة البحرية في حوض البحر المتوسط، وقلبت التفوق البيزنطي لصالح المسلمين، ونعني بها موقعة "ذات الصواري" "سنة ٣٤هـ/ ٦٥٤م ."وتذكر المصادر العربية أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح "أمير مصر "خرج بأسطوله البحري من "رشيد "قاصدا أسطول الروم، وفي الوقت نفسه خرج "بسر بن أبي أرطأة- "وهو أحد قادة معاوية- بأسطوله من "صور"، وتلاقى الاثنان في البحر بالقرب من ساحل "ليكيا" "عند فونيكة- "في جنوب أنطاكية- حيث دارات المعركة هناك[52]

51 تبعد جزيرة "قبرص" عن الساحل السوري "٩٠كم" وعن الساحل التركي "٦٥كم"، وعن الساحل المصري "٤٠٠كم"، وعن الساحل اليوناني "٩٠٠كم"، ويبلغ أقصى طول لها "٢٣٥كم."

52 الشايب، أحمد، الأسلوب في كتابة الفتوحات الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية،ط2، القاهرة.2017،ص 25

ISSN: 2709-5312

وكان الأسطول البيزنطي مكونا من خمسمائة مركب، أو سبعمائة وقيل "ألف"، في حين كان المسلمون في نحو مائتي مركب، وقد وصف أحد المسلمين المشاركين في المعركة شعوره حين تقابلت الأساطيل الإسلامية مع السفن البيزنطية قائلا" :فالتقينا في البحر، فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قط ."ويبدو أن المسلمين أدركوا أن خوض قتال بحري ضد هذه الأعداد الضخمة من السفن المدربة مخاطرة غير مأمونة، فاختروا أن يجعلوها حربا برية في البحر، فربطوا سفنهم المتقاربة في سفن الأعداء، وجعلوا من ظهورها ميدانا بريا للقتال، واشتدت المعركة، وقتل من الجانبين أعداد هائلة، واختلطت دماء القتلى بمياه البحر، فصبغته بلونها الأحمر القاني، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاما، وانتهى القتال بانتصار حاسم للمسلمين، وأسفر عن بداية لطور بحري جديد سيطر المسلمون فيه على حوض البحر المتوسط الشرقي على حساب البحرية البيزنطية، وأكسبهم خبرة طيبة في المجال البحري[53]العسكري، مما فتح لهم آفاقا جديدة لميادين الامتياز والتفوق في مجابهة دولة الروم المتربصين بهم[54].

وتعتبر هذه الوقعة البحرية من المعارك الحاسمة القلائل التي غيرت مجرى تاريخ البحر المتوسط... إذ قضت على اتصافه بأنه بحرم" الروم"، وجعلته حريا أن يدعى" بحر المسلمين"، فقد انطلقت فيه السفن الإسلامية في حرية تذهب حيثما تريد، رافعة علم الإسلام.[55]

وتجلت أولى النتائج الهامة التي ترتبت على هذه المعركة الفاصلة عندما تخلى الإمبراطور البيزنطي "قنسطانز "ومن جاء بعده من الأباطرة عن فكرة طرد المسلمين من البلاد التي استولوا عليها في شرق البحر الأبيض المتوسط، واستعادة ما كان لهم من سالف النفوذ والسلطان هناك، إذ أدرك أولئك الأباطرة أن هذه الفكرة ضرب من الأحلام التي فات أوانها، وأن قدم المسلمين رسخت نهائيا على شاطئ البحر المتوسط الشرقي، فجنحوا إلى الاعتراف بالأمر الواقع، وادخار جهودهم وقوتهم إلى وقت قد يحتاجون فيه للدفاع عن دولتهم وحمايتها من التردي نهائيا في أيد المسلمين[56]

وخلاصة ما تقدم أن المسلمين استطاعوا -قبل نهاية العصر الراشدي- أن ينتزعوا السيادة البحرية على الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وأن تكحون لهم السيطرة الكاملة على سواحل ذلك البحر، من طرابلس

53 تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام للدكتور السيد عبد العزيز السالم، ودكتور: أحمد مختار العبادي "ص١٣" "ط مؤسسة شباب الجامعة، الإسك تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام "ص١٣٢-٢٠ندرية ١٩٩٣م."

54 أطلس التاريخ الإسلامي،ج4، 2014 "ص٢٨٥

55 الأمويون والبيزنطيون،ج 5، 2015"ص٤٧".

56 صفوت، أحمد زكي. **تاريخ عصور العربية الزاهرة**، المكتبة العلمية، ط3، بيروت.2016،ص189

ISSN: 2709-5312

الشام، إلى "قرطاجنة "في منطقة "إفريقية"، واستولوا على جزر أرواد "و"قبرص "و"رودس"، تمهيدا لغزو القسطنطينية[57]."

سياسة معاوية بن أبي سيان البحرية في مواجهة الروم:

تولى معاوية بن أبي سفيان أمر الدولة الأموية صبيحة تأسيسها، وكان واليا على الشام لأكثر من عشرين سنة متصلة في زمن خلافة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان -رضي الله عنهما- على التوالي. وقد وقع عليه -في أكثر الوقت- العبء الأكبر في مجابهة الخطر البيزنطي على إقليم الشام برا وبحرا. وكان لخبرته القتالية الطويلة مع الروم أثر واضح في تشكيل رؤية -أو "استراتيجية -"للتعامل معهم، وفي توجيه قناعته بطبيعة السياسة الملائمة لهذا التعامل. وكانت المواجهة القتالية المستمرة مع الروم البيظنطيين هي الأسلوب الذي ارتآه أنسب للتعامل معهم، وكان توليه خلافة المسلمين هي الفرصة المناسبة التي ساعدته على تحوي لتلك القناعة الشخصية إلى "سياسة دولة"، وتوافرت -إلى ذلك- مجموعة من العوامل الداخلية الإيجابية أدت إلى إنجاح هذه السياسة، أهمها وجود جيش قوي، ولاؤه الأول والأخير للخليفة، وموارد اقتصادية هائلة تدرها الأمصارن وقرب عهد بالإسلام وفر أعداد هائلة من المتطوعين المؤمنين بهذه السياسة بوصفها رسالة إيمانية[58].

وبعد أن أمن معاوية الجبهة الداخلية للدولة الإسلامية باتباع مجموعة من الخطوات -أهمها حل المشاكل التي خلفتها أعوام متتالية من الفتن والحروب بعد مقتل الخليفة الشهيد عثمان -رضي الله عنه، وإزالة التناحر القبلي بين عرب الشام وعرب الجنوب وفق ميزان عدل لا يميل إلى أحد الطرفين على حساب الآخر. وبعد أن نقل عاصمة الخلاصة إلى دمشق الشام موطن شيعته ومناصريه، ولتكون قريبة من ميدان الصراع مع البيزنطيين، إضافة إلى اهتمامه الكبير بتأسيس جيش قوي ليكون عدته في تنفيذ مشاريعه الحربية، وجعل قوامه الأساسي من جند الشام الموالين له، واختار مجموعة من خيرة القادة العسكريين لقيادته- نقول :بعد أن نجع في تحقيق ذلك كله عمد إلى رسم الخطوط العريضة لسياسات التعامل الخارجي للدولة الأموية، والتي استمرت منهاجا لها حتى زالت سنة "١٣٢هـ[59]."

ولعل المعلم الرئيس لسياسة التعامل الخارجي للدولة الأموية يتلخص في عبارة واحدة، هي "الهجوم خير وسيلة للدفاع، والعمل المستمر على توسيع الدولة وضم مناطق جديدة إليها ."وهذه السياسة يمكن أن

57 تاريخ البحرية الإسلامية،ج2، 2018، ص٣١"،
58 ضيف، شوقي، **تاريخ الفتوحات العربية**، دار المعارف،ط3، القاهرة.2017،ص213
59 الدولة الأموية دولة الفتوحات ج3، 2014، ص١٣-

نطلق عليها اسم "سياسة تداعي الفتوحات"، فمثلا :نجد أن الدولة الأموية قد آمنت بأن تأمين فتوحات الشام[60]

إنما يستدعي السيطرة على المناطق المجاورة له من الشمال والشمال الشرقي "أرمينية"، والجنوب الغربي "مصر"، والمناطق الغربية "جزر البحر المتوسط الشرقية"، ثم إن تأمين فتوحات مصر استدعى فتح إفريقية "تونس"، وهذا بدوره تطلب فتح المغرب الأوسط "الجزائر"، ثم المغرب الأقصى، ثم عبور المضيق إلى شبه الجزيرة الإيبيرية "إسبانيا ."وبهذا أصبح المسلمون في مواجهة القوى غير الإسلامية "الأوروبية "في الغرب بالقدر نفسه الذي واجهوا به الدولة البيزنطية في الشرق. فعلى هدي الظروف الجغرافية -إذن- كانت تسير الفتوحات الأموية برا من أجل رفع راية الإسلام[61].

ولم يختلف الأمر في البحر عنه في البر؛ فبعد غزو جزيرة "قبرص "في البحر المتوسط الشرقي أيقن الأمويون ضرورة عدم التوقف عن هذا الحد، فمواصلة الاستيلاء على الجزر التابعة للروم في شرق هذا البحر كان حتمية وفقا لسياسة الأمويين الخارجية؛ فشرق البحر المتوسط تنتشر فيه الجزر التي تقسمه إلى بحار داخلية صغيرة، يتصل بعضها ببعض عن طريق مضايق وفتحات صغيرة، وتتحكم في مداخلها أطراف تلك الجزر، فكانت هذه المضايق أشبه أعناق الزجاجات تكفل للمسيطر عليها السيادة على ما يليها من بحار داخلية وما يطل على هذه البحار من أراض وبلاد، ومن ثم سار الأمويون في استيلائهم على هذه الجزر وفق خطة منطقية محددة بدقة، تهدف إلى تأمين سلامة الفتوحات الإسلامية في البر عن طريق الاستيلاء على الجزر القريبة المجاورة مباشرة لتلك الأراضي المفتوحة، ثم متابعة الاستيلاء على غيرها من الجزر التي تتحكم في أكبر عدد من المضايق البحرية، وذلك لسد كل المنافذ والطرق أمام الأساطيل البيزنطية إذا ما رغبت في مهاجمة الأراضي المفتوحة من جهة البحر[62].

بناء الأسطول والتمهيد البري والبحري لفتح القسطنطينية

أدرك معاوية -مؤسس الدولة الأموية- أثناء فترة ولايته الطويلة على الشام، والتي احتك فيها عن قرب بالوم البيزنطيين -أن قوتهم البحرية هي العامل ذو الأثر القوي في بقائهم كدولة، ثم إنه أدرك- أثناء اشتراكه في فتح مدن الشام الساحلية -مدى خطر المحاولات الهجومية البحرية التي تقوم بها الأساطيل البيزنطية لاسترداد تلك المدن المفتوحة، والتي كانت تنطلق من قواعد الروم البحرية. ومن هنا رأى معاوية أنه من الضروري أن يمتلك المسلمون قوة بحرية تمكنهم من الدفاع عن الشواطئ التي امتلكوها،

60 أطلس التاريخ الإسلامي، ص"٢٨٥"،
61 الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، ج3، 2015، "ص٢٥٨-
62 عبد التواب، رمضان، الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية وما بعدها" دار المعارف،ط1، القاهرة، 2017، ص50

ISSN: 2709-5312

بل وعدم الاكتفاء بالسياسة الدفاعية المتمثلة في وضع حاميات على الشواطئ لصد الهجمات البحرية البيزنطية واستبدالها بسياسة هجومية تعتمد على أسطول إسلامي قوي يقف من الأسطول البيزنطي موقف الند، وتكون مهمته -ليس انتظار هجمات البيزنطين لصدها- وإنما المبادرة بالاستيلاء على جزر البحر المتوسط التابعة للبيزنطيين[63].

وقد رفع معاوية أثناء ولايته على الشام- الأمر إلى الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه، شارحا له أهمية هذا التوجه؛ لأنه عاني في فتح مدن الشام الساحلية عناء شديدا بسبب وجود الأسطول البيزنطي. غير أن عمر -رضي الله عنه- رفض الفكرة، خوفا على المسلمين من أهوال البحار، إذ لم يكن لهم خبرة بالحروب البحرية، بل هم أهل صحراء. ورأى أيضا أن الوقت لا يزال مبكرا للدخول في ذلك الميدان الخطر. واكتفى عمر -رضي الله عنه- بأن يقوم معاوية بتحصين الشواطئ بالحصون، وأن يملأها بالمقاتلين والمرابطين[64].

وفي خلافة عثمان -رضي الله عنه" -٢٤-٣٥هـ "رفع إليه معاوية طلبه القديم بإنشاء أسطول بحري، فرفض عثمان في أول أمر، لكنه عاد فوافق بعدما اقتنع بأهمية المشروع، لكنه اشترط أن يكون الجهاد البحري تطوعا، ولا يكره عليه أحد. وعلى الفور بدأ معاوية في تحقيق سياسته ومشروعه، فشرع في بناء الأسطول، مستغلا كل الإمكانات الموجودة في مصر والشام لصناعة السفن١، ولم تمض أربع سنوات حتى ظهر إلى الوجود أسطول إسلامي كبير نجح معوية به في فتح جزيرة "قبرص" "٢٨هـ "و"٣٣هـ ." وجزيرة "أرواد- "الواقعة بالقرب من ساحل الشام بين "جبلة "و"طرابلس" -"سنة ٢٨-٢٩هـ"، وجزيرة "رودس" "سنة ٣٣هـ"، وهي أهم جزر "بحر إيجة ."وتوج حملاته البحرية بغلق بحر إيجه وسد منافذ الرئيسية في وجه السفن البيزنطية، ومنعها من الوصول إلى بلاد المسلمين، وذلك بالاستيلاء على جزيرة "إقريطش" "كريت ."كما أنه هزم الأسطول البيزنطي في موقعة ذات الصواري "سنة ٣٤هـ "التي سبق الحديث عنها قبل قليل[65].

وهكذا وجه معاوية أنظار المسلمين شطر البحر المتوسط، وأوقفهم على أهمية جزره، فاستولى على ما استطاعت أساطيله أن تفتحه منها، وطرق باب غيرها ممهدا الطريق لمن يأتي بعده من الخلفاء الأمويين، وكفل للمسلمين قوة بحرية نافست البيزنطيين سيادتهم القديمة على البحر المتوسط، ثم أخذ يعبئها لأهم

63 عثمان، فتح، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة والنشر"،ط2، القاهرة، 2015، ص107

64 عبد اللطيف، العصر الأموي "الجزء الثاني من موسو عة سفير للتاريخ الإسلامي، 2017، ص٢٣".

65 الأمويون والبيزنطيون، 2014، "ص٩٢-٩٩

ISSN: 2709-5312

عمل في تاريخها، وهو ضرب عاصمة البيزنطيين أنفسهم، والاستيلاء عليها[66].فانهما سكان حدودهما إلى داخل البلاد، وترك حصونهما مقفرة، ومنازلهما خالية من العمران.ولقد لقي المسلمون متاعب جمة وصعاب كبيرة في حملاتهم الألى التي قاموا بها عبر هذه الجهات الجبلية التي تفصل شمال الشام عن آسيا الصغرى، إذ كان عليهم اجتياز بعض الدروب والممرات الجبلية وجبال "طوروس "لمهاجمة البيزنطيين. ولم يلبث المسلمون أن عملوا على تلاقي هذه الأخطار بترك حاميات عسكرية عند الثغرات الجبلية التي ينفذون منها، ثم تطور الأمر إلى اهتمامهم بتحصين المدن التي تتحكم في هذه الممرات، بإعادة بناء الحصون المخربة التي درمها البيزنطيون أثناء تقهقرهم، وبناء حصون جديدة، ومن هنا انتشرت سلسلة من الحصون في المنطقة الإسلامية الملاصقة للدروب والممرات التي ينفذ منها البيزنطيون من جبال طوروس لمهاجمة شمال الشام، وعرفت هذه المنطقة باسم "الثغور"، على حين أطلق اسم "العواصم "على سلسلة الحصون الخلفية لمنطقة الثغور. ولم تلبث هذه المناطق أن اتسعت، واهتم معاوية وقادته بتعميرها وتحصينها، وتشجيع المسلمين على الإقامة فيها، وإرساء نظم عسكرية وإدارية فعالة مكنتها من القيام بوظيفتها على أكمل وجه١، ألا وهي :الهجوم على الدولة البيزنطية ذاتها، وفي عقر دارها[67].

وقد عرفت الغزوات التي كانت تخرج من منطقة الثغور والقلاع لمهاجمة أراضي البيزنطيين باسم "الصوافي والشواتي"، حيث كانت الغزوات الإسلامية تقوم صيفا وشتاء، وتتوغل في بلاد الروم، ثم تعود إلى قواعدها مرة أخرى بعد الانتهاء من مهمتها. واستهدفت إنهاك قوة الوم وشغلهم في ديارهم بسلسلة لا تنقطع من الحملات، صيفا وشتاء، برا وبحرا، وكانت تهدف -في الوقت نفسه- إلى إيجاد ميدان يتدرب فيه الجند الإسلامي على أساليب القتال والقيادة، وتخريج جيل جديد من المحاربين والقادة العسكرين، وإعدادهم للقيام بمشاريع الفتوحات الكبرى فيما بعد٢، ولا تكاد سنة من سني خلافة معاوية "٤١-٦٠هـ "تخلو من صائفة أو شاتية الى بلاد الروم كما أنها لم تنقطع طوال العصر الأموي باستثناء فترات الفتن الداخلية[68]

وقد أسفرت هذه الغزوات البرية عن تأكيد الهيمنة الإسلامية على نواحي كبيرة من آسيا الصغرى، كما أسفرت عن فتح بعض البلاد والحصون البيزنطية في البر، مثل "زبطرة "و"ملطية "و"أنطاكية "وإقليم "أرمينية."

66 الدولة الأموية دولة الفتوحات،2014، "ص١٩
67 الأمويون والبيزنطيون،2015، "ص١٠٤-١٠٥."
68 الطباع، عمر فاروق،. **مواقف التاريخ الأموي**، دار القلم، ط2،بيروت.2013،ص128

وهكذا بدت غزوات البر والبحر في خلافة معاوية -رضي الله عنه- تمهد للاستيلاء على "القسطنطينية "قلعة الروم المنيعة، التي إذا ما سقطت هي سقطوا هم[69].

(حصار القسطنطينية في عصر بني أمية)

كانت "القسطنطينية "الرأس المدبر والمحرك الذي أدار شئون الدفاع البحري عن الدولة البيزنطية وجزرها في حوض البحر المتوسط الشرقي، ولا سيما السواحل الواقعة حول بحر "إيجة "الغني بجزره الممتدة إلى مياه "القسطنطينية "المحلية. وقد أدرك المسلمون أنه لا استقرار لفتوحاتهم إلا بإدخال هذه العاصمة في قائمة الفتوحات، كما تم لهم من قبل الاستيلاء على "المدائن "عاصمة الفرس[70].

وبعد تمهيد طويل بواسطة حملات برية على آسيا الصغرى وصل بعضها إلى "القسطنطينية- " ومحاولات أخرى بحرية خرجت من القواعد الإسلامية البحرية على سواحل الشام ومصر- أحس المسلمون أنهم وصلوا إلى درجة جيدة من الخبرة بالطريق إلى "القسطنطينية "برا وبحرا، وأنهم يستطيعون غزوها والاستيلاء عليها والقضاء على دولة الروم. ولقد قدر للمسلمين القضاء على الدولة البيزنطية في عصر بني أمية لتغير وجه التاريخ تماما، ولكن فشل محاولاتهم الأولى في العصر الأموي أتاح لهذه الدولة حياة امتدت قرابة تسعة قرون. وعندما دخل الأتراك العثمانيون "القسطنطينية" "سنة ٨٥٧هـ "كانت دولة الروم قد أتمت رسالتها التاريخية التي كان لها أبعد الأثر على مسيرة الإسلام في شرق أوروبا، بل في تاريخ أوروبا كله[71].

المبحث الثالث / الإنحسار الإسلامي في الجبهات الغربية والاوربية والشرقية

كان معاوية - بلا ريب - أحد دهاة العرب القلائل، وكان رجل دولة وخبير سياسة بمعنى الكلمة .. بيد أنه كانت هناك حقيقة حضارية ينبغي عليه إدراكها وهي : أن الحضارة حين ينفصل جسدها عن دماغها لا يمكن أن تكون قابلة للبقاء .. حين يحدث انشقاق بين روح الأمة وجهاز عملها المادي تحدث الآلية القاتلة

69 الجنزوري، علية، **الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى**، دار الأوائل، ط2، القاهرة،2017،"ص٢٠

70 الأمويون والبيزنطيون، ج4، 2015، "ص٩٢

71 العاكوب، عيسى، **نظرية النصوص والمخطوطات التاريخية في القرن العشرين**،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،ط3، دار الفكر، بيروت، 2015، ص87

وتسير القافلة بلا روح .. تماما كما يسير الذي قطع رأسه من جسده.. إنه لا بد من أن يسقط بعد خطوات .[72]

ومنذ قامت الدولة الأموية، واعتمد فيها نظام وراثة الخلافة كرها عن الأمة ..منذ هذا الحدث وثمة انفصال بين جسد الأمة وروحها ذاقت منه الأمة الإسلامية مر الأهوال ..وكان أحد الأسباب في سقوط الدولة الأموية[73] .

لقد تشكلت طبقة تعطي نفسها امتيازا جنسيا غريب الشكل .. فهي لمجرد أنها من البيت الأموي، حتى ولو افتقدت كل صلاحيات الوجود والحكم بعد ذلك، لا بد أن تقف في الصف الأول .. وأن تقود وتحكم، والأدهى من ذلك أن هذه الدولة اعتمدت العنصرية العربية المستعلية حقا تتكئ عليه في سيادتها .. وظلمها، وهذه الظاهرة .. تلد أمراضا حضارية خبيثة كلها شؤم وبلاء .. فإن هذه الطبقة سرعان ما يحاول كل واحد منها الحصول على حق .. أكثر شرعية جنسية .. لكي يصل إلى الحكم، وبالتالي يلجأ إلى الدس والخديعة والقتل والاغتيال ويسود الطبقة الحاكمة جو من الصراع الداخلي يمنعها عن أن تؤدي للأمة أي شيء، ويكون كل هم الحاكمين أن يحافظوا على الموقع الذي يقفون فيه .. هكذا كان الأمر بين الأمويين ولا سيما في الأيام الأخيرة من عمرهم .. أيام الوليد بن يزيد، ومروان بن محمد، ومن الأمراض الخطيرة التي تلدها ظاهرة الانفصام المشئومة استعانة هؤلاء الحاكمين بطبقة تتولى هي في الحقيقة الأمر، وتستبد بالأمة، وحين تستغيث الأمة لا تجد من يغيثها، إذ يكون الحكام في واد آخر بعيد عنها، بل إن هؤلاء الحكام يعتقدون أنهم بوجودهم في مراكز السلطة مدينون لهؤلاء العمال أو الولاة الغاشمين الظالمين[74] .

وقد زخرت صفحات التاريخ بعديد من هؤلاء الجبابرة الذين أساءوا إلى المسلمين والإسلام إساءات بالغة كالحجاج بن يوسف الثقفي في المشرق، والوالي عبد الله ابن الحبحاب في المغرب ، ولقد أساءت هذه الطبقة المصطنعة العازلة إلى تاريخ الأمويين نفسه أيما إساءة، وزينت للخلفاء الأمويين كل جور، وعملت في المسلمين عمل كسرى وقيصر في شعبيهما .. وكانت - يعلم الله - بلاء على المسلمين أي

72 عبد الخالق، غسان، **النقد التاريخي القديم**، نصوص نقدية مختارة قراءة تطبيقية مساندة، جامعة فيلادلفيا، عمان،2016، ص187

73 عبد الرحمن، حكمت،نجيب،**دراسات في تاريخ العلوم عند العرب**، جامعة الموصل، الموصل، 2012،ص69

74 عبد اللطيف عبد الشافي محمد.**العالم الإسلامي في العصر الأموي 41هـ**، ط3،ج9،دار الاخوين للنشر، عمان، 2015،ص93

بلاء !! وقد كانت سببا في نجاح الخوارج، وفي إشعال ثورات بربرية، في ساحة الأندلس والمغرب، وبتأثير الطغيان الذي ساس به الولاة جماهير المسلمين، انصرف الناس إلى أمورهم، تاركين أمور الدولة في يد الفئة الحاكمة بل انصرفوا إلى الاندماج في كل حركات الخروج على الدولة .. وقد تمخض كل ذلك عن ميلاد تنظيم من أدق التنظيمات في تاريخ الانقلابات السياسية، وهو التنظيم العباسي الذي رفع الراية العلوية (الرضا من آل البيت) أيام سريته .. إلى أن وصل إلى الحكم،ولم يك هذا التنظيم لينجح ويجد المناخ والعناصر الصالحة إلا نتيجة سياسة الولاة الغريبة عن روح الإسلام،وقد اختلف المؤرخون في سقوط هذه الدولة العظيمة .. دولة الفتوحات .. وقد رأى بعضهم، وهم محقون، أنه النزاع بين المضرية واليمانية، الذي ابتدأ منذ أيام مؤسس الدولة الأموية معاوية، قد أدى إلى ضياع بني أمية[75] .

ويرى بعضهم أن مصرع الحسين بن علي في كربلاء كان الداء القاتل الذي تفاقم حتى قضى عليها،ورأى آخرون أن العامل الهام الذي أدى إلى سقوط بني أمية هو تعصب الأمويين للعرب، مما أدى إلى خروج الموالي على الدولة الأموية وهم غير العرب الذين دخلوا في الإسلام عقب الفتح العربي في فارس ومصر والمغرب .

وما لبث هؤلاء أن أصبحوا أعداء للعرب من بني أمية ولا شك أن سلوك الوليد ابن يزيد الذي أدى إلى مصرعه كان من أبرز الأسباب المباشرة في فساد الأحوال، كما أن الاستبداد الفردي عامل من عوامل سقوط الدولة قال به كثيرون، وقد تكون كل هذه الأسباب صحيحة، بل قد تكون متداخلة، لكننا نميل إلى سبب جوهري نراه أكبر الأسباب وأبرزها، وهو العنصرية الأموية التي جعلتهم يرفعون العرب على حساب غيرهم، ويثيرون الأحقاد في بقية الطوائف المسلمة، وتبقى عبرة التاريخ الأخيرة في سقوط الدولة الأموية . فإن نصر بن سيار (والي خراسان) كان على عهد مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين .. وكان نصر هذا .. كما كان مروان .. كان كلاهما من خيرة من أنجبت الدولة الأموية.. هذا في الولاة، وذلك في الخلفاء [76].

لكنهما ظهرا بعد أن اتسعت خروق الدولة على أي راقع، وكان رصيد الدولة من الفساد والتحلل والظلم والضعف، قد أصبح أكبر وأضخم من طاقة أي إنسان، لقد كانت حركة التاريخ التي هي من سنة الله قد

75 عبد المطلب، محمد، **تاريخ الفتوحات الاسلامية**،ط2،ج1، بيروت، مكتبة لبنان.2015،ص190
76 العش، يوسف، **الدولة الأموية** والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق،2012،ص81

قالت في الدولة الأموية كلمتها .. وقد حاول " نصر " أن يستعمل ذكاءه في إنقاذ الدولة، إذ كان يستشف ببصيرته الوقادة أن ثمة أمورا تبينت للدولة، وأن دولة الأمويين على وشك الرحيل، وكم كاتب الخليفة الأموي الأخير " مروان " في ذلك .. ولكن دون جدوى .. لقد اتسع الخرق ووجب أن ينهار البناء[77].

وكان مروان .. مشغولا بسداد " شيكات " سابقيه من الديون .. في بنك الضياع .. فلم يمكنه أن يستجيب لا " لنصر " ولا لضميره الذي كان يحس بقرب الكارثة .. هكذا تفعل الدول بنفسها .. نتيجة ظلمها . وتراكم هذا الظلم، وعندما سقطت الدولة الأموية سنة 132هـ، ولقي مروان مصرعه في حلوان بمصر .. كان كتاب التاريخ يطوي إحدى صفحاته .. يطويها بعنف لأن أبطالها أرادوا لأنفسهم هذا ... حين راحوا ينفصلون عن ضمير الأمة ووجدانها، ويعزلون أنفسهم عن شعوبهم - بطبقة من العمال الظالمين الغاشمين وبعنصرية عربية قومية ظالمة .. لقد فتحوا كثيرا من الأراضي، لكنهم فشلوا في أن يفتحوا القلوب ... والعقول [78].

وَقْفُ المَدِّ الإسْلَامِي في الأَراضِي الفَرَنْسِيَّة

الجُذُور التَّارِيْخِيَّة لمَوْقِف الحُكُوْمَة الفَرَنْسِيَّة من الأُمَّة الإسْلامِيَّة

تَغَيَّر مَسَارُ الصِّدَامِ الإسْلامي الفَرَنْجِي في العَقْد الثاني من القرن الثاني الهِجْري بعد أن نَجَح رَئِيْس البَلَاط المَلَكِي الميروفنجي شارل المُلَقَّب بالمطْرَقَة - وكان الحاكم الفِعْلِي لفَرَنْسا آنذاك - في هَزِيْمَة جَيْش المسلمين الأَنْدَلُسِيِّين بقِيادة أَمِيْرهم المُجاهِد عبد الرحمن الغافِقِي رحمه الله تعالى في مَعْرَكة بَلاط الشُّهَداء [بواتييه] سنة 114هـ،وكان ذلك بعد قتال حامِي الوَطِيْس، اسْتَعان فيه قائِدُ الفَرَنْجَة بكثير من الجُنْد الجِرْمان الوَثَنِيِّين الهَمَجِيِّين، فواجَهوا جَيْشَ المسلمين الذي كان مُنْهَكَ القُوَى من طُوْل القِتال في الأَراضِي الفَرَنْسِيَّة بَعِيْدًا عن مَرْكَزه بالأَنْدَلُس، مُثْقَلًا بالغَنائِم الوَفِيْرة التي عاقَت حَرَكَتَه، وبَذَرَت كَثْرَتُها الشِّقاق بين أَفْرادِه، ولم تُصَدِّق جَحافِل الجَيْش النَّصْرانِيَّة والوَثَنِيَّة انْسِحاب جَيْش المسلمين بعد القِتال الشَّدِيْد الضَّراوة الذي لم تَظْهَر فيه عَلَاماتُ الانْكِسار على جَيْش المسلمين، ولم يَجْرُؤ شارلُ وجَيْشُه على تَتَبُّع الجَيْش الإسلامي الذي انْسَحَب نحو الجَنُوب الفَرَنْسِي[79].

77 عيسى، عبدالرحمن. **الفتوحات في الدعوة الإسلامية**، دار الإيمان، بيروت.2016،ص234
78 فروخ، عمر، **تاريخ العلوم عند العرب**، دار العلم للملايين، ط1،بيروت.2013،ص81106

79 الفلاح قحطان صالح، **في العهد الأموي**، جامعة حلب كلية الآداب والعلوم الانسانية، سورية.2014،ص173

ISSN: 2709-5312

لقد وَقَع ما يُشْبِه الإجْماع بين المؤرِّخِيْن الأوروبِيِّين على أن هَزِيْمة المسلمين في هذه المَعْرَكة كان بمَثابة الإنْقاذ لأُوروبا كُلِّها من التَّشَرُّف بالدُّخُول في الإسلام! والصِّيانة لها من التَّنَعُّم تحت سَيْطرة المسلمين، حتى تَبَجَّح المؤرِّخ الإنجليزي الحاقِدُ جيبون بقوله: إن مَعْرَكة بواتييه أَنْقَذَت آباءَنا الإنجليز، وجِيْراننا الفرنسيين من نِيْران القُرآن المَدَنِي والدِّيْنِي، وإنه لو حَقَّق المسلمون انْتِصارًا في هذه المَعْرَكة؛ لرأينا القُرآنَ يُدَرَّسُ في أكسفورد، والسوربون، لكن المَعْرَكة حَفِظَت جَلَال رُوْما، وأَخَّرَت اسْتِعْباد القُسْطَنْطِيْنِيَّة، وشَدَّت بأَزْر النَّصْرانِيَّة، وأَوْقَعَت بأَعْدائها التَّفَرُّق، والفَشَل، وحَدَث بينهم الصِّراعُ العُنْصُرِي، والقَبَلِي[80].

لقد كان للمؤرِّخِيْن الأُوروبِيِّين كلامٌ كثيرٌ نَحْوَ هذا، يَحْمِلُ مُبالَغات في وَصْف نَتائج المَعْرَكة على أُوْرُوبا، والأَنْدَلُس، ويَتَّسِمُ بالتَّهْوِيْل من شَأن حُدُوث النَّصْر للمسلمين فيها، ويُغْفِلُ اسْتِعادة المسلمين لكثير مما فَقَدُوه من المَواقِع فيما بَعْد، وتَعَذُّر إخْراجِهم من العَدِيْد من مَواقِعهم الحَصِيْنة في الجَنُوْب الفَرَنْسِي، إلا بعد سَنَواتٍ طوالٍ، وجُهْد جَهِيْد، وانْشِغالٍ لوُلَاة الأَنْدَلُس بأَحْداث داخِلِيَّة عِظام، ويُعْرِضُ عن التَّعَرُّض لوجود أَسْباب كثيرة مَرَّ بها العالم الإسلامي عُمُوْمًا - وبلاد الأَنْدَلُس خُصُوْصًا - أَواخِرَ خِلَافَةِ بَنِي أُمَيَّة، كانت سَبَبًا في تَوَقُّف المَدِّ الإسْلَامِي في أُوروبا الغَرْبِيَّة، ويَتَناسَى تَفْضِيْل نَصارَى جَنُوب فَرَنْسا العَيْشَ في ظِلِّ حُكْم المسلمين العادِل المُتَحَضِّر عن الحياة تحت حُكْم النَّصارَى الفرنكيين الهَمَجِيِّين المُتَبَرْبِرِيْن، حتى أن شارلَ مارتل قد اصْطَحَب معه عَدَدًا من رُؤوس سُكَّان الجَنُوْب الفَرَنْسِي بالقُوَّة عَقِب انْتِصاره على المسلمين؛ لِيَضْمَن عَدَم مُعاوَنَتِهم للمسلمين على وُلَاة الفرنكيين وجُيُوْشِهم[81].

ولكن نَفَرًا من المُسْتَشْرِقِيْن المَوْسُوْمِيْن بقَدْر من الإنْصاف قد زَيَّفُوا أَقاوِيْل مُؤَرِّخِي أوروبا القُدَماء والمُعاصِرِيْن عن مَعْرَكة بَلَاط الشُّهَداء، ونَتائجها، وبَيَّنُوا أن خسارة المسلمين للمَعْرَكة كانت خسارة كبيرة لأوروبا التي حُرِمَت من مَدَنِيَّة الإسلام، وظَلَّت تَأَنُّ تحت وَطْأَة الفَرَنْجَة وغيرهم من المُتَبَرْبِرِيْن الهَمَجِيِّين لفَتَرات طوال[82].

ورُغْم تَخَلِّي المسلمين عن كثير من المُدُن التي فَتَحُوها في أَرْض فَرَنْسا الواسِعة عندما تَقَهْقَر الجَيْشُ تُجاه الجَنُوب الفَرَنْسِي بعد المَعْرَكة، إلا أن شارل لم يَتَعَقَّب المسلمين بعدما رَأى شِدَّة بَأْسِهم في القِتال، ولم يُحاول الالْتِحام معهم لعِدَّة سَنَوات، رُغْم اسْتِعادة المسلمين العَدِيْد من المُدُن الفَرَنْسِيَّة التي فَقَدُوها عَقِب بَلَاط الشهداء، إلا أن اسْتِفْحال الفُتُوح الإسلامية في المُدُن الفَرَنْسِيَّة على يَدِ أَمِيْر الأَنْدَلُس العادل المُجاهِد عُقْبة بن الحَجَّاج السَّلُوْلِي رحمه الله تعالى قد أَجْبَرَه على التَّفَرُّغ لمُحاوَلَة إيْقاف الزَّحْف الإسلامي الذي

80 فياض، نقولا: **التاريخ من وحي الرواة**، دار الهلال مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية.مصر، 2017،ص287
81 قباني، محمد. **الدولة الأموية من الميلاد إلى السقوط**،دار وحي القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.2012،ص89
82 قطب، سيد. **النصوص التاريخية أصولها ومناهجها**، دار الشروق،ط2، القاهرة.2017،ص287

ISSN: 2709-5312

تَمَدَّد شَرْقًا، حتى بَلَغ إقْلِيْم البيمونت بشَمال إيْطاليا، فاسْتَطاع شارل الاسْتِيْلاء على بعض المُدُن من المسلمين، ولكنه فَشِل في اقْتِحام قاعِدة المسلمين الكُبْرى بالجَنُوب الفَرَنْسِي؛ وهي مدينة أُرْبُونة [نربونة] بإقليم سبتمانيا [لانجدوك] [83]

أهم أسباب توقف وانحسار الفتوحات

في عام 732م سار عبدالرحمن الغافقي إلى الشمال مخترقاً إمارتي أراغون ونافارا، وعبر بنبلونة ودخل فرنسا وزحف على مدينة آرل الفرنسية الواقعة على نهر الرون، وضم المدينة بعد معركةٍ شرسة خسرت فيها قوات أودو الكثير من الجند، ومن هنا زحف الغافقيّ غرباً وانقض على إمارة أكوتين.حاول أودو وقف الزحف، والتقى بالمسلمين على ضفاف نهر الدردون، لكنه هُزم هزيمة فادحة وتمزَّق جيشه. طارد الغافقي فلول الجيش حتى العاصمة بردال واستولى عليها بعد حصارٍ قصير . فر أودو مع مجموعةٍ من المقربين منه والتجأوا إلى خصم أودو القديم كارل مارتل، وسقطت أكوتين كلها في يد المسلمين، ولم يتوقف القائد عبدالرحمن الغافقي عند هذا الحد، حيث ارتدّ بالجيش واستولى على ليون -أحد أهم المدن الفرنسية- ووصل إلى صانص التي تبعد عن باريس نحو 100 ميل فقط. ولكي يستكمل فتحه بالدخول إلى باريس عاصمة الفرنج، افتتح عبدالرحمن نصف فرنسا الجنوبي كله من الشرق إلى الغرب على خط امتد 1000 ميل في بضعة أشهر فقط[84].

معركة بلاط الشهداء.. ونهاية الغافقي

بوصول عبدالرحمن الغافقي إلى هذه النقطة، أصبح القائد المسلم الوحيد الذي وصل إلى هذا العمق الأوروبيّ فاتحاً، في حين جمع زعيم الفرنجة كارل مارتل ليس جيش مملكة الفرنجة وحده، بل ضم إليه القبائل الجرمانية المتحاربة عادةً مع الفرنجة. كان هذا اللقاء حينها لقاءً بين الشرق بحضارته ودينه الإسلام في ذلك الوقت، مقابل الغرب ممثلاً في رأس أوروبا في ذلك الوقت مملكة الفرنجة بدينها المسيحي وقوات أوروبا الأخرى[85].

83 مطلوب، أحمد، **فتح الاندلس**، دار البحوث العلمية للنشروالتوزيع، ط2، الكويت.2016، ص230
84 مطلوب، أحمد، **فتح الاندلس**، دار البحوث العلمية للنشروالتوزيع، ط2، الكويت.2016، ص239
85 ليديا، وعد الله، **خلفاء بني أمية**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط2، عمان، الأردن.2017،ص209

وفي أواخر شهر أكتوبر/تشرين الأول من سنة 732م، تواجه الجيشان، وعلى مدار 9 أيام من المناوشات، كانت الكفتان متعادلتين بين الفريقين، إلا أنه في اليوم العاشر رجحت كفة جيش المسلمين ولاح النصر في جانبهم. لكن، وفي خضم هذا الموقف، افتتح الفرنج ثغرةً في معسكر غنائم المسلمين، فارتدَّت قوةٌ كبيرة من الفرسان من قلب المعركة إلى ما وراء الصفوف لحماية الغنائم. حاول عبدالرحمن إعادة النظام وتنقَّل بين الجند يجمع شتاتهم مرة أخرى، وبينما هو كذلك، أصابه سهمٌ في مقتل، أودى بحياته، وهنا اشتدَّ هجوم الفرنج على المسلمين وكثُر القتل فيهم ولكنهم صمدوا حتى الليل وافترق الجيشان دون فصل، وكان ذلك في أول شهر رمضان من عام 732م[86].

وهنا قرر قادة الجيش المسلم الانسحاب، وانسحبوا صوب قواعدهم في سبتمانيا، وعندما اكتشف كارل مارتل انسحاب الجيش الإسلامي خشى أن يكون ذلك كميناً، فاكتفى بانسحاب المسلمين ولم يُقدم على مطاردتهم وعاد بجيشه إلى معسكره[87].

وبينما ضخّمت الرواية التاريخية الأوروبية من المعركة، ومن خسارة المسلمين، يرى عنان في كتابه "دولة الإسلام في الأندلس" أن الرواية المسيحية مُبالِغة، وقدّم بديلاً عنها روايةً متوازنة، هي تلك التي قدمناها في هذا التقرير .بهذا انتهت حياة القائد عبدالرحمن الغافقي وأُسدل معها الستار على أهم معركة شهدها المسلمون في ذلك الوقت أمام قوى أوروبا في عقر دارها، في فرنسا[88].

الأستنتاجات

1- إن الهدف الذي قامت عليه الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية هو نشر الدين الأسلامي على كافة أرجاء المعمورة كأمتداد للفتوحات التي بدأت أبان الخلافة الراشدية، فأنطلقت الجحافل الأسلامية شرقا وغربا شمالاً وجنوباً رافعة راية الأسلام فتوسعت رقعت بذلك رقعة الدولة الإسلامية لما هو عليها الآن.

86 محفوظ، الشيخ علي. **دور القادة في الفتوحات الإسلامية**،ط2، دار الإعتصام للنشر والتوزيع، القاهرة.2018،ص194
87 منصور، حمدي محمود، **صدر الإسلام والعصر الأموي**، دار الفكر، عمان، الأردن، 2019،ص234

88 ناهم ، أحمد، **العصر الأموي**، دار الحرية للطباعة، ط2، بغداد 2016، ص298

2- هناك هدف آخر أستنبطه الباحث من خلال أدبيات هذه الدراسة، هو أن هناك هدف سياسي يقف من وراء كواليس هدف الفتوحات وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، ألا وهو إشغال المسلمين بالفتوحات والغنائم، وإبعادهم عن نفوذ السلطة الأموية وهذا ما عمده مؤسس الدولة الأموية (معاوية بن أبي سفيان) عند أستلامه الخلافة بعد استشهاد (الأمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه وأرضاه) وبعد تنازل أبنه (الحسن بن علي رضي الله عنه وأرضاه)، فقد فرغت الساحة لمعاوية ولكن لم تزل هناك بذور الفتنة ونارها لم تزل متأججة، فهناك من يخالفون معاوية وخصوصاً المسلمين الأوائل، وهناك الخوارج، وهناك الروم في الثغور يتربصون الدوائر، فكان حريا على معاوية أن يشد العزم على البدأ بالفتوحات، لأسكات الألسن، وأبعاد أهل الشأن عن مركز الخلافة.

3- بالنسبة للأمصار وخوصا (العراق) المتمثل بالكوفة والبصرة، كانت الفتوحات إحدى الطرق المهمة في إسكاتهم وإبعادهم عن السلطة السياسية، حيث لم تهدأ رياح الفتن والعصيان على الدوية الأموية من لحظة أستشهاد(الأمام الحسين عليه السلام)، فقد سقطت الكوفة والبصرة لأكثر من مرة على يد المعارضين، تارة على يد أبناء الزبير، وتارة أخرى على يد المختار الثقفي، فكان حريا على الخليفة الأموي (عبد الملك بن مروان من أن ينتدب إلى العراق والي وحاكم جائر مثل الحجاج بن يوسف الثقفي لكي يحكم لجام أهل العراق، وفعلا أول عمل قام به الحجاج بعد قتله لخصوم الدولة الأموية ومنهم مصعب بن الزبير، فأعلن النفير العام لكل رجل بالعراق صغيرا كان أم كهلا والتوجه فوراً إلى ساحات القتال حيث الفتوحات نحو الشرق وكان السيف بأنتاظار كل من يتخلف، فاصبح العراق نقطة أنطلاق الفتوحات نحو الشرق.

4- أحد أسباب ضعف الدولة الأموية وأنهيارها على يد بني العباس هو توقفهم عن الفتوحات، فبتوقفهم رجعت بذور الفتنة والمطالبة بتنحية بنو أمية لجور حكامهم واخذ ثار كل من تم قتلهم من آل بيت النبي وعلى رأسهم الأمام الحسين عليه السلام

التوصيات

1- إبراز الدور الأعلامي للفتوحات الأسلامية كونها محررة وليست غازية، لعدة أسباب منها أن المسلمين لم يحرروا بلدا إلا لنشر الدعوة الإسلامية وليس من باب الغزو الذي أتهمت به الفتوحات الأسلامية، فهو تكليف شرعي.

2- إظهار دور القادة الأبطال الذين قادوا المعارك بالفتوحات شرقا وغربا، فكثير من أبنا الجيل الحالي يجهلون حتى أسماؤهم وأعمالهم وفتوحاتهم، وهذا دور القائمون على الجانب التربوي والمناهج الدراسية،

إضافة إلى دور وسائل الأعلام من أيضاح دور هؤلاء القادة بمسلسلات تاريخية أمثال (موسى بن النصير، وعقبة بن نافع، وطارق بن زياد، ومحمد بن القاسم الثقفي، والمهلب بن أبي صفرة) وغيرهم.

3- توصي الدراسة الحالية بأن تكون هذه الدراسة أساس لدراسات أخرى تأخذ على عاتقها إظهار دور قادة الفتوحات في معارك الفتح.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر:

- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح، المستطرف في كل فن مستظرف تحقيق مفيد،قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت.2014

- ابن الأثير ضياء الدين.(د.ت). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة – القاهرة.

- ابن الأثير، عز الدين أبا الحسن، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق:أبو الفداء عبدالله القاضي، المجلد2، 2013،

- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد، **كتاب الأغاني**، تحقيق محمد أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015

- ابن عبد ربه، أبو عمرو أحمد بن محمد الأندلسي، **العقد الفريد**، تحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم البياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.2013

- البستاني بطرس (د.ت) **محيط المحيط**، مكتبة لبنان بيروت، ج2، 2016

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (دت). **البيان والتبيين"**، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الجاحظ، بيروت.2016

- الجاحظ. **الحيوان**، تحقيق: عبد السلام هارون، ومصطفى الحلبي، القاهرة.2014

- الجرجاني، عبدالقاهر، **أسرار البلاغة في علم البيان** تحقيق محمد الإسكندراني،دار الكتاب العربي، بيروت،2016

- الحاتمي، أبو علي. حلية المحاضرة، تحقيق جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر وزارة الثقافة والإعلام، بغداد.2015

-الحصري، أبو اسحق إبراهيم بن علي، **زهر الآداب وثمر الألباب**، مفصل بقلم الدكتور زكي مبارك، دار الجيل، بيروت.2014

- الخزاعي، دعبل بن علي. **أحاديث التاريخ**، تحقيق عبد الكريم الأشتر، مطبوعات اللغة العربية دمشق مجمع الحكمة، 2014

- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله. **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة.2015

- الزمخشري (د.ت) **أساس البلاغة**، تحقيق نور الدين علاوي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.2018

العسكري، أبو هلال، **الصناعتين تحقيق مفيد**،قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2015

- الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك**،تحقيق علي هادي، دار الكتب العلمية، القاهرة.2016

- الطيبي، شرف الدين الحسين بن محمد بن عبدالله، **التبيان والتبيين**، تحقيق توفيق الفيل وعبد اللطيف لطف الله، دار ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت.2016

- الفارابي، **إحصاء العلوم**، تعليق وتنظيم أمين عثمان،ط1، مصر.2013

- الفيروز آبادي، أبو طاهر، الإمام مجد الدين (د.ت) **القاموس المحيط**، مطبعة بولاق مصر.2013

- قدامة بن جعفر بن قدامة، أبو الفرج البغدادي. **نقد النثر**، تحقيق طه حسين،ط2، بيروت، 2013

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**،تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.2013

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **البداية والنهاية**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر.2012

- عزالدين، عبدالحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.2016

- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم دار الفكر العربي، القاهرة، 2017

- المدني، علي صدر الدين معصوم، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، تحقيق شاكر هادي شكر مكتبة العراق.ط2، 2012

- المروزي، أبو عبد الله نعيم بن حماد الخزاعي، **كتاب الفتن**، تحقيق سمير أمين الزهيري،مكتبة التوحيد القاهرة.2013

- المقدسي، محمد بن مفلح. **الأداب الشرعية والمنح المرعية** عالم الكتب،القاهرة.2016

- المقري أحمد بن محمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،2015،ص156

- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم. **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار المعرفة، بيروت.2012

ابن منظور،**التاريخ في اللغة العربية**، تحقيق عبد السلام عطية،دار صادر، ط1، بيروت، 2016

النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبدالله الحاكم، **المستدرك في علم الصحيحين**،تحقيق جبار لازم،ط2، دار المعرفة، بيروت.2013

ابن هشام، السيرة النبوية،تحقيق إيناس عبد الله، دار الكتب العلمية،ط3، بيروت.2012

- الأحمد، عبدالرحمن، **البيان الزاهر إلى فرسان المنابر**، تحقيق ضحى فاضل، مركز السعيد حمص.ط2، 2013

- أمين أحمد، **فجر الإسلام**، يبحث عن الحياة العقلية في صدر الإسلام إلى آخر الدولة الأموية، تحقيق عبد الله حسين، شركة نوابغ الفكر للنشر، القاهرة.2015

- بسيوني، عبدالفتاح فيود، **من بلاغة النظم القرآني وتاريخ العقود**، تحقيق مسرين هنودي،مؤسسة المختار للنشروالتوزيع، ط2القاهرة.2013

- بشبندر، ديفيد، نظرية التاريخ المعاصر، ترجمة: عبد المقصود عبد الكريم،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط3، القاهرة، 2012

البعلبكي، منير وآخرون، **المصور في التاريخ حضارات العالم في العصور القديمة والوسطى** دار العلم للملايين،ط3، بيروت.2015

الحوفي، أحمد محمد. السرد التاريخي ،(د.ت)، ط4، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، قاهرة.2013

الخفاجي، عبد المنعم، **الحياة بعد ظهور الإسلام**، دار الجيل،ط2، بيروت. 2015،ص189

الزعبي، أحمد، التاريخ الاموي نظريا وتطبيقيا"، مؤسسة عمان للنشر، ط3، الأردن.2015

أبو زهرة، الإمام محمد، **الفتوحات الاسلامية**. تاريخها في أزهى عصورها عندالعرب، دار الفكر العربي، ط2،القاهرة.2015

- شاكر، محمود، **التاريخ الإسلامي**، دار المكتب الإسلامي للنشر، ط1ـالقاهرة. 2015

- الشايب، أحمد، الأسلوب في كتابة الفتوحات الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية،ط2، القاهرة.2017

- صفوت، أحمد زكي. تاريخ عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، ط3، بيروت.2016

- ضيف، شوقي، **تاريخ الفتوحات العربية**، دار المعارف،ط3، القاهرة.2017

الطباع، عمر فاروق،. **مواقف التاريخ الأموي**، دار القلم، ط2،بيروت.2013

- العاكوب، عيسى، **نظرية النصوص والمخطوطات التاريخية في القرن العشرين**،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية،ط3، دار الفكر، بيروت، 2015

- عبد الخالق، غسان، **النقد التاريخي القديم**، نصوص نقدية مختارة قراءة تطبيقية مساندة، جامعة فيلادلفيا، عمان،2016

- عبد الرحمن، حكمت،نجيب،**دراسات في تاريخ العلوم عند العرب**، جامعة الموصل، الموصل، 2012

عبد اللطيف عبد الشافي محمد.**العالم الإسلامي في العصر الأموي 41هـ**، ط3،ج9،دار الاخوين للنشر، عمان، 2015

عبد المطلب، محمد، **تاريخ الفتوحات الاسلامية**،ط2،ج1، بيروت، مكتبة لبنان.2015

- عتيق، عبد العزيز،**علم البيان**،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.2018

- العش، يوسف، **الدولة الأموية** والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق،2012

- عيسى، عبدالرحمن. **الفتوحات في الدعوة الإسلامية**، دار الإيمان، بيروت.2016

فروخ، عمر، **تاريخ العلوم عند العرب**، دار العلم للملايين، ط1،بيروت.2013

- الفلاح قحطان صالح، **في العهد الأموي**، جامعة حلب كلية الآداب والعلوم الانسانية، سورية.2014

- فياض، نقولا: **التاريخ من وحي الرواة**، دار الهلال مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية.مصر، 2017

قباني، محمد. **الدولة الأموية من الميلاد إلى السقوط**،دار وحي القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.2012

- قطب، سيد. **النصوص التاريخية أصولها ومناهجها**، دار الشروق،ط2، القاهرة.201

- ليديا، وعد الله، **خلفاء بني أمية**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط2، عمان، الأردن.2017

- محفوظ، الشيخ علي. **دور القادة في الفتوحات الإسلامية**،ط2، دار الإعتصام للنشر والتوزيع، القاهرة.2018

- مطلوب، أحمد، **فتح الاندلس**، دار البحوث العلمية للنشروالتوزيع، ط2، الكويت.2016

منصور، حمدي محمود، **صدر الإسلام والعصر الأموي**، دار الفكر، عمان، الأردن، 2019

ناهم ، أحمد، **العصر الأموي**، ط3، دار الحرية للطباعة، 2016

النجار، محمد الطيب، **الدولة الأموية في المشرق**، دار الاتحاد العربي للطباعة، ط2، القاهرة.2017

- إحسان، علي محمد، **الخلافة الأموية في عصرها الذهبي**، دار المعارف، القاهرة.2014

- الهاشمي، أحمد (د.ت)، الامويون والفتوحات الإسلامية، دار أحياء التراث، ط2،بيروت،2015